الفصل الثالث

القيمَ الاجتماعيَّة

١ ـ المبحث الأول ـ (الحكمة).

٢ـ المبحث الثانى ـ (الإحسان).

٣ ـ المبحث الثالث ـ (الكرم).

٤ ـ المبحث الرابع ـ (العفاف).

٥ ـ المبحث الخامس ـ (الإخلاص).

٦ ـ المبحث السادس ـ (الوفاء).

٧ ـ المبحث السابع ـ (إنجاز الوعد).

٨ ـ المبحث الثامن ـ (عزة النفس).

وَقِيَمُ أُخَرْ

(الحكمة)

التعريف بها.

أقسامها.

أ- الحكمة الفكريّة

ب ـ الحكمة النفسيّة

جـ ـ الحكمة الأخلاقيّة.

التعريف بالحكمة*:

انطلق ابن دريد فى تعريف الحكمة من منظور دينى وخلقى حين قال: - "كُلّ كلمة وَعظَتْكَ أوْ رَجزتكَ أوْ دَعَتْكَ إلى مكرمةٍ أو نَهتك عَنْ قَبيحٍ فَهى حِكمة"[١] وقيل هى وضع الأشياء مواضعها[٢]. قال: أفلاطون (مَنْ ملكَ مَنْطِقه سُمِّى حَكيماً)[٣]. وفضيلة الحكمة تسمى باسم الفطنة، وهى فضيلة عقلية تمكن صاحبها من حسن القيام بعمله[٤]. فالحكمةُ عند أكابر الفلاسفة الأخلاقيين من القدماء(أم الفضائل) وَمَلاك الشيم الإنسانيّة، ومن حواها فقد حوى الخير كلّه[٥]. والحكمةُ من الأغراض الشعرّية التى تجلّت فيها عبقرية العربى الفكرّية والفنّية.

أقسام الحكمة**:-

قسم ابن حزم الأندلسى الحكمة[٦] إلى قوليّة وفعلية، أمّا الحكمة القوليّة وهى العقدية أيضاً كل ما يعقلها العاقل بالحد وما يجرى مجراه مثل الاستقرا فيعبر عنه بهما.

(*) كتبت رسائل وبحوث فى الحكمة منها على سبيل المثال رسالة ماجستير (أدب الحكمة فى صدر الأسلام) لمحمد سعيد مرعى الجبورى ـ جامعة بغداد ـ كلية التربية ١٩٨٩.والحكمة فى الشعر الأموى: د. إبراهيم سلامة.

(١) ابن دريد: جمهرة اللغة: جـ٢ ص١٨٦، وانظر ابا حيان الأندلسى: تفسير المحيط: جـ١ ص٣٩٣.

(٢) التعريفات: ص٩٦، تاج العروس: فصل الحاء باب الميم: ص٣٥٣ـ٣٥٤.

(٣) المقابسات: ص٢٨٣.

(٤) الأخلاق إلى نيقولا ماخوس: ص٣١٣ ـ ٣١٤ وانظر مجلة المعرفة: م٦ ق٢ ص١١٣٩.

(٥) تاريخ النظريات الأخلاقية: ص٥٣ ـ ٥٤.

(**) عد ابن حزم الحكمة آلة العلوم. نظرا المصدر نفسه جـ٢ شروح ص (١٥٦).

(٦) ابن حزم الظاهرى: الفصل فى الملك والأهواء والنحل: جـ٢ ص١٥٥، شروح الكتاب ط١/ مصر.

وأما الحكمة الفعلية فى كل ما يفعله الحكيم لغاية كماليّة ويمكننا تقسيمها من حيث النص الى:-

أ) الحكمة الفكرية: يقصد بها حكماً تتناول موضوعات ذات طابع فكرى تأملى. كالخير والشر، الحياة والموت الغنى والفقير.

ب) الحكم النفسيّة: - وهى حكم تناولت من المعانى ما يحسّه الإنسان ويشعر به من حب وبغض، وحدة وعداوة.

جـ) الحكم الأخلاقية:- التى تدعو إلى معالى الأخلاق لأنها تمثل التجربة الحيّاتية والقدرة على تصوير الواقع وقد قيل: ـ الحكم والأمثال على ضربين فمنها ما يروى فى أثناء الخطب والرسائل ومنها ما يكون جوابا لسؤال[1].

أ)الحكمة الفكرية

تأثرت الحكمة الفكرية ـ بالفكر القرآنى* ـ فى الثواب والعقاب[2] والعذاب والحساب. هذا ما نلاحظه فى استشارة العقل. الذى نجد فيه أبا اسحاق الإلبيرى أكثر تصريحاً ودقة فى ذكره أجل الإنسان.

تَمـرُّ لَدِاتـى واحـداً بَعْـدَ واحِـدٍ وأَعْلَـمُ أَنـى بَعْـدَهُمْ غَيْـر خالِـدِ[3]

وأحِمـلُ مَـوْتاهُمْ وأَشـهَدُ دَفْـنَهُم كأنّـى بَعـيدُ مِـنْهُم غَيْـرُ شـاهِدِ

ولقد جسدّ ابن حزم الأندلسى صورة خلق الإنسان بعد عدم، وهى اللحظة الفاصلة بين خلق الإنسان ومولده، وبين حتمية الموت وشموله. والدعوة عن النهى الابتعاد عن لذات الدنيا والاغترار بها. وتعد حكمة لكل إنسان حى يرزق.

---

(١) الدكتور محمد رضوان الداية: تاريخ النقد فى الأندلس: ص٤٢٠.

(*) فى رواية المقتبس (ت ٤٥٠ هـ).

(٢) ديوان الالبيرى: ص١٠٢ ـ و ص١٠٣.

(٣) م ن: ص١٠٥.

ملاحظة: والحكمة الأخلاقية قد تصور مثالاً لكى يسود واقع الحياة.

كفـــى حكمـــة لله إنـــك صـــائرُ تـراباً كمـا سـواك قـبل فعـدلك[1]

وإن شئتِ مـرأى كـيف كـوّن ثانـياً فـدونك فانظـر كـيف كـون أولـك

وفى التأمل والروية فى عواقب الأمور. حفظ السّر وكتمانه قال:- عبد الله بن يوسف بن عبد البر النحوى (ت٤٥٨ هـ)[2].

لاْ تَكْثـــرنَّ تَـــأمُلاً واحـــبس عَلَـــيْكَ عِـــنان طـــرفك

فَلـــرُبما أرْسَـــلْتُه فَـــرَمَاكَ فـــى مَـــيْدان حَـــتْفِك

لكن شأن الدنيا التقلب بأهلها وقد يتأخر الحّر تارة ويتقدم أخرى، هذا ما رسمهُ الجزار السرقسطى شاخصاً وما وصل له الحال. فلا يقيم أوده لكنه يطيب جراحه قائلاً:

مَـا بَـال دُنْـيايَ الدنـيّة لَـمْ تَقُـمْ أُودى اكـــلُّ حفـــرَه محـــرِّمُ[3]

لاْ تَجْزَعِـى يـانَفْسُ أن خطـب غـدا فالحـــرّ يعثـــر تـــارة ويقـــدمُ

فكـــذا الـــزمان بأهلـــهِ مـــتقلب لا الـبؤس فـيه ولا النعـيم يـدومُ

ومن المعروف أن خير (الشعر ما دل على حكمة يقبلها العقل)[4] فانسجمت الحكمة مع انسيابيّة القصيدة وباتت حقيقة من الحقائق المسلم بها فى الفلك والنجوم هذا ما اتضح فى حكمة عبد الله بن سارة[5] البكرى (ت٥١٩ هـ).

ليس الأصمُّ ولا الأعمى سوى رجل لَـمْ يُهْـدِهِ الهاديـان العـينُ والأثـر

لا الدهر يبقى على حالٍ ولا الفلك الأعلى ولا النيّران الشمسُ والقمرُ

---

(١) طوق الحمامة : ص١٥١. طبعة مغايرة لصلاح الدين القاسمى.

(٢) انظر الصلة: جـ٢ ص٤٢٥ ترجمة ٦١٦.

(٣) روضة المحاسن وعمدة المحاسن: ديوان الجزار السرقسطى: ص٣٧.

(٤) أسرار البلاغة: ص٢٢٠.

(٥) الاحاطة فى أخبار غرناطة: جـ٣ ص٤٤٠.

لأرحلنّ عِن الدنيا وَلَوْ كرهاً فِراقها الثاويان الشمس والقمر

ومنهم من كانت له مكانةٌ يُمجّد عليها فى الحكمة والبلاغة والنهى. يشهد على ذلك قول ابن الزقاق البلنسى[1]:-

ومكانةٌ فى المجدِ أنتَ عمرتَها بُعلاكَ وهَى فى الأنام خَلاءُ

فَتَقْت أكمامَ البلاغةِ والنُّهى عن حكمةٍ لم تُؤتَها الحكَماءُ

وقد يستوحى الشاعر موضوع حكمته من واقع الحياة الاقتصادية فى السعى فى مناكب الأرض للحصول على الرزق الحلال، فالمال يفنى إن لم يستثمر[2]:-

لاْ عار يَلْحقُ سَاعِياً فى عَيْشِهِ مَا لُمْ يجَىْ من سعيه بخِناءِ

لا تغترر برخاء مالك والغنى فالدهرُ يخرج شده برخاء

كم من فتى هبت رخاءً ريحه كانت عواقبها إلى نكباءِ

وقد بلوّر مالك بن وهب الأشبيلى فلسفةالقناعة فى حكمة لطيفة حين قال:- أنّ معايشة الأخيار للأشرار هى لا محالة غربة فى الدار[3]:-

رمتنى صروفُ الدهر بَيْنَ مُعاشرٍ أصَحُّهُم ودّاً عدوٌّ مقاتل

وما غربة الإنسان فى غير دارهً ولكنها فى قرب من لا يشاكلُ

ولم يخرج الشاعر الأندلسى من دائرة الخير والشر وان كان مضطراً لفعل الخير، فالحكمة عطاء من الله جَلّتْ قدرته يؤتها من يشاء من عبادة. يقول السرقسطى بأن اسم الله الرزاق قد وزع الأرزاق على العباد بقدر مقسوم[4]. وكما قلنا استعمل الخير

---

(١) الديوان: ص٦٥.

(٢) ديوان الجزار السرقسطى: ص١٤٩.

(٣) النفح: جـ٣ ص٤٨٣.

(٤) الديوان: روضة المحاسن وعمدة المحاسن: ص١٨٣.

فى مجالات شتى وعبّر عنه بألفاظ مختلفة، مِثل البّر والحكمة والرفعة والمكانة الأدبية بين الناس. وقد يكمن الخير فى حفظ اللّسان من الزلّل واستحكام [1] العقل:-

إيـــاكَ مـــن زلـــل اللّـــسان فإنمـــا عقـــل الفتـــى فـــى لفّظـــهِ المـــسَمْوُع

والمـــرء يختبُـــر الإنـــاء بنقـــرهِ لِـيرَى الـصّحِيَح بـهِ مِـنَ المَـصْدَوع

لقد أبعد الشاعر الأندلسى فى شعر الحكمة الجاد الملئ بالعبرة [2] والوعظ والحكم.

ومما دار فى الموت والفناء قول الوزير الكاتب أبو محمد بن القاسم (ت بعد ٥٠٠ هـ) [3]:

والحُـر حـرٌ وصفـح الله منتظـرُ والذكر يبقى وعمر المرء ينقرضُ

وربما أغدق الله على عباده الصالحين من أهل الأندلس نوراً [4] من نوره فجعل لهم (ولأهل سرقسطة فضل الحكمة) [5]. وهكذا صدرت القيم الفكرّية عن الفكر والروح معاً فمثلت الحكمة عندهم.

ب) الحكمة النفسيّة:-

وهى التى تدور فى دائرة المسيرة المؤدية إلى إصلاح النفس ورقيّها (وحكمة الله البالغة وإن ليست عن التواضع شعاراً) [6]. وقد جال المعتمد بن عباد فى فلسفة النفس واليأس من الحياة مبتعداً عن بَهْرَجِها قائلاً [7]:-

---

(١) المصدر نفسه: ص١٩٦.

(٢) انظر بحث الدكتور مصطفى منجد: (التعليم فى الأندلس فى القرن الخامس الهجرى: ص٣٥٥).

(٣) الخريدة: جـ٢ ق٤ ص٣٨٧.

(٤) قال تعالى: ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ البقرة: ٢٦٩.

(٥) انظر احمد بن عمر بن أنس العذرى المعروف بابن الدلائى: نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان من غرائب البلدان والمسالك إلى جمع المماليك: ص٢٢ تحقيق الأهوانى ـ ط/ ١٩٦٥ مدريد معهد الدراسات الإسلامية.

(٦) النفح: جـ٢ ص٣١٩ ت٣٢٠.

(٧) انظر ديوان المعتمد: ص٢٨٨ تحقيق السويسى وانظر الحلة السيراء: جـ٢ ص٦٧ برواية مغايرة (تدانى) (ق).

أرى الدُّنْـــيَا الدَّنِّـــية لا تُؤاتـــى فَاجمـلْ فـى التـصرُّفِ والطِّـلاب
وَلا يَغْـــرُرْكَ مـــنها حُـــسْنُ بُـــردٍ لَـــهُ عَلَمـــانِ مِـــنْ ذَهَـــبِ الـــذّهابِ
فَأَوّلهَـــا رجـــاءُ مـــن ســـرابٍ وآخِـــرها رِداءُ مـــن تُـــرابِ

والحكمة التى أكدها أبو الفضل بن شرف (ت ٤٤٦ هـ) هى احتقار صروف الدهر وتقلباته لتهوين مصائبه[١].

لَعُمـرك مـا هـذا الـزمان بطائـلٍ لـــدَىَّ ولا مقـــدارهِ بكَّـــبير
ولما احتقرت الدهر هانت صروفه علـىَّ فكـم أَعَـيا بفعـلِ حَقِيْـرِ

ومن خِلال إدراكه النفس الإنسانية، فقد عبرت الحكمة عمّا يعترى الشاعر ويساور مُتَقلِبه من سلامة النفس والدين والعرض، فى ذلك يقول محمد بن الحسن الجيلى النحوى[٢]:-

وما الأُنْسُ بالآنس الذين عهدتهم
بأنس ولكن فقد أُنسِهم أُنـس
إذا سَلَمِتْ نَفْسِى وَدينـي مِنْهُـم
فَحَسْبِى أن العِرْض من لهم تُرْس

وفى إطفاء الحقد وتأججه يقول أبو الإصبع أرقم[٣]:

ياحافرَ الحفرةِ وَسِّعْ فقد يَسْقُطُ فى الحُفرةِ حَفّارُها

ولما كانت الحكمة قد (نزلت على ألسن العرب)[٤] كان من المعروف أن يردُ

---

(١) التكملة لكتاب الصلة: جـ١ ص٥٣٢ طبعة قديمة.
(٢) النفح: جـ٢ ص٤٩٥.
(٣) الذخيرة: م١ ق٣ ص٣٦٧.
(٤) التوحيدى: المقابسات: ص٢٧١.

المعنى الحكيم الجديد فى التعبير الوجيز الواضح وهذا أكثر وقعاً فى النفس الخالصة المّيالة إلى الخلاص من المشقة والعناء وقد محور ذلك[1] ابن وهبون فى قوله:-

مَـا الـنفَسُ إلا شُـعْلَة سـقطْت إلى ... حـيثُ اسـتقلَّ بهـا الثـرى والمـاء

حتـى إذا خلـصتْ تعـودُ كمـا بـدت ... ومـن الخـلاصِ مـشّقة وعَـناءِ

وهذا صيرت التجربة حكما خالدة تناقلتها الألسن. والتجربة تعبير عن صراع نفسى داخلى وشعور يومى ذاتى.

جـ) الحكمة الأخلاقية:-

وهكذا النوع من الحكم فنشده فى دراستنا هذه . حيث لم نجد دراسة مستقلة تناولت الحكمة الأندلسية كدراسة الحكمة فى العصر الجاهلى، ودراسة الحكمة فى العصر الأموى وما بعدها.

ومن الحكم الأخلاقية فى إقبال الدنيا وإدبارها يقول الحكيم[2] أمية بن أبى الصلت والتى جرت مجرى المثل.

مَـنْ تَقْـبَل الدُنْـيَا علـيهِ فإنهـا ... تثنـى محاسـن غـيره مـن لـبه

وكـذلك مهمـا أدبـرت عـن فاضـل ... سـلبته ظالمـه محاسـن نفـسه

ولما كانت الحكمة أساس التصرف الأخلاقى السليم بل الأخلاق. فلقد قيل: (مَنْ مَلَكَ منطقه سمىّ حكيماً)[3]، ليتسنى له تحديد التجارب وما تلك التجارب إلا وظائف جمالية ينقلها الشاعر عن واقع تمثلت رؤيته فى تمخضها فغلب عليها الطابع الأخلاقى والجانب الاجتماعى لأنها تمثل القدرة على تصوير الواقع والتجربة

---

(١) الذخيرة: م١ ق٢ ص٤٧٩. وانظر سمر صبحى: شعر ابن وهبون: رسالة ماجستير.

(*) عبد العزيز بن محمد بن أرقم النميرى الواجِشى ـ أقام بدانية ـ وكان من وجوه رجال ونبهاء المعتصم بن صمادح توفى فى إمارة المعتمد بن عباد.

(٢) الديوان: ص ١٠٦.

(٣) المقابسات: ص٢٨٣.

الحياتية. وهى تشمل الأمثال والحكم والقصص والخرافة وهى بعد تحليلها تمثل فلسفة أو بالأحرى فلسفات مستقلة عن التعاليم المنقولة لأنها تترجم روحا خاصة لشعب معين. (ربما يرمى إلى تهذيب الأخلاق وإصلاح النفوس)[1]. ذلك لكون المعيار الأخلاقى استوعب ميادين الحياة وبين الحقيقة التى ترفض ومنهم من اعترف بموته حكيما لسبب كابن ليون (أبو عيسى بن ليون) الذى اجتمع فيه (العقل والحكمة والمضاء والبلاغة والحلم) قائلاً:-

أنا ملك تجمعتْ فىَّ خمسٌ ... كلُّها للأنام محيٍ مميتُ[2]

هِىَ ذِهنٌ وحكمةٌ ومضاءُ ... وكلامٌ فى وَقتِهِ وَسُكُوتُ

والحكمةُ هى الأخلاق نفسها وهى (التصرف بمقتضى العقل والعلم) [3] لِذا طرد عبد الله الأنصارى (ت ٥٤٠ هـ) الهموم من رأسه مُوكلاً أمره إلى اسم الله الكافى الذى كفاه شرّ ذلك[4].

سهرت أعين ونامت عيون ... لأمور تكون أو لا تكون

فاطرد الهم ما استطعت عن ... النفس محملانك الهموم جنون

أن ربا كفاك بالأمس ما كان ... فسيكفيك فى غد ما يكون

ولعل قصة (حى بن يقظان)[5] تبحث عن تطور عقل الإنسان تطوراً طبيعياً ليصلَ إلى أعلى درجات المعرفة مبتدئاً من لا شئ، وهى كيف يستطيع المرء من غير سابق معرفة من الخارج أن يتوصل إلى إدراك العالم العلوى وأن يهتدى إلى معرفة الله

---

(١) د. عبد العزيز عزت: ابن مسكويه وفلسفته الأخلاقية ومصادرها: ص٢٠٢ ط/ ١٩٤٦.

(٢) الذخيرة: م ١ ق٣ ص١١٦.

(٣) سعيد الديوه جى: ص٣١٣.

(٤) الإحاطة فى أخبار غرناطة: جـ٣ ص٤٠٨. وانظر فى الندم على انقضاء الزمن المختار من شعر الأندلس: لابن الصيرفى: ص١٣٠، تحقيق هلال ناجى: بغداد ١٩٧٦م.

(٥) مجلة المعرفة: م١٦ ص٢٨٠٠٢.

وخلود النفس أو الروح؛ ذلك لكون العقل (هو طرح المبالاة بمكارم الناس واستعمال المبالاة بكلام الخالق عز وجل... بل هو العقل كله والراحة كلها)[1] قال الإلبيرى[2]:-

لا شئَ أخسرَ صفقةً مِنْ عالِمٍ ... لَعِبَتْ بهِ الدُّنيا مَع الجُهَّالِ

فخُذِ الكفاف ولا تَكُنْ ذا فَضْلةٍ ... فالفضْلُ تُسألُ عَنْهُ أيَّ سُؤالِ

ويقول على بن عبد[3] الرحمن البلنوبى فى الحَثِّ على الإحسان والعمل الصالح، حيث أنَّ الإنسان يرجع بين فَيْنَةٍ وأخرى إلى نفسه يحاسبها فيتذكر رَبَّه أو يتذكر الموت أو يأسف على ما أضاع من حَيَاتِهِ وقتاً ونشاطاً كان باستطاعته أَنْ يستثمرها على وَجْهٍ أنفع.

كلُّ يفارقُ فى الدّنيا أحبتُه ... وإنما هو إعجال وإنظار

ونحن سفرة مطايانا إلى أحد ... أعمارنا وفنون العيش أسفارُ

*لا ينفُع المرء إلاّ ما يقدمّه ... لاْ دِرْهَمُ بَعْده يَبْقَى وَلاْ دَارُ

وقد نَبَذَ أبو محمد بن صارة البكرِي البخلَ وقال فى الحكمة التى خرجت إلى غرض الكرم:-

واسْعَدْ بمالِكَ فى الحياةَ ولا تَكُنْ ... تُبقِي عَليهِ: حَذارَ فَقدِ حادثِ[4]

فالبخل بين الحادثين، وإنّما ... مال البخيلِ لِحَادثٍ أو وارِثِ

---

(١) ابن حزم: رسالة الأخلاق: ص١٢ ـ ١٣.

(٢) الديوان: ص ٣٩ ـ ٤٠. وانظر فى شعر ابن السيد البطليوس ص٨١.

(٣) الديوان: ص٢٩. وانظر نظيره فى ديوان الإلبيرى: ص٦٥.

(*) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "مَا الدّنيا فى الآخرة إلاّ مِثْلُ ما يجعلَ أَحُدكُم أصبعه فى اليَم فلينر بِمَ تَرْجع". انظر ابن الأثير: النهاية فى غريب الحديث والأثر/ م٥ ص٣٠٠، تحقيق محمود محمد الطناجى/ ١٩٧٩، دار الفكر.

(٤) التكملة لكتاب الصلة: جـ٢ ص٨١٧ ترجمة ١٩٩٣.

ولخص إبن الزقاق البلنسى[1](ت ٥٢٨ هـ) نصائحه وأوجز حكمته فى النصح بالهجر، إذا ضاق المكان والاهتمام بالأمور المعنوية بما حصلوه من دنياهم.

واقتنِ المَجد مقيماً وادعاً ... بالوفا، أو بالسرى غير مقيم

وإذا رابتك أرض أو نبت ... بك جاوزها يوفد أو رسيم

كل شئ، فاسلُ عَنْهُ، هَالكُ ... غَيرَ وَجه الله ذى العَرْشِ العظيم

وفى الحثِّ على السعى فى طلب الرزق فى مناكب الأرض يقول ابو الوليد اسماعيل بن عيسى بن عبد الرحمن اللّخمى (ت ٥٣٤ هـ)[2].

إذا فَاتَكَ الرزقُ بن بَلدَةٍ ... ووافك مِنْ همتّها ما كثرْ

فمفتاح رزقك من بَلدَةٍ ... سواها فردها تَنَلْ ما يسرْ

كذا المبهماتُ بوسطِ الكتابِ ... فمفتاحها أبداً ما فى الطرر

وقال ابن السيد[3] البطليوس (٥٢١ هـ) فى التمسك بقيم العلم ورفض الجهل والذى يعد من كمال الخلق.

أخُو العلم حىٌّ خالدُ بعد موته ... وأوصالهِ تحت التراب رميم

وَذُو الجهلِ ميتُ وهو ماشٍ على الثرى ... يظنُّ من الأحياءِ وهو عديم

وفى دعوة الأخوان إلى التصبر فى الخطوبِ، والموازنة بين تقلبات الزمن يقول الجزار السرقسطى[4]:

عَوائِدُ هذهِ الدُنيا ضروبُ ... يحملُّ عبأها الفطن اللّبيبُ

---

(١) انظر الديوان : ص٤٣. وانظر نظيره فى ص٤٤، ١٠٩، ٧٥، ٣٠٥.

(٢) م ن: جـ١ ص١٨٤ ترجمة ٤٨٨. ونظيره/ ديوان الحكيم أمية: ص١٢٣ .

(٣) شعر ابن السيد البطليوس: ص١١١ ـ المورد م٦ ع١ لسنة ١٩٧٧.

(٤) الديوان: ص١٦٥ وانظر فى الغرض نفسه ص١٨١ ـ ١٨٢.

وللأيـــام طـــبع مـــستحيل فَـــلا دِعـــةٌ تَـــدُوم وَلا لَغُـــوبُ

فـــلا تفـــرح إذا دنـــت الأمانـــى ولا تحـــزن إذا دهـــت الخطـــوب

أما فى الحكمة التى جاءت أشبه بالمثل فقد عبّر عنها ابن الطراوة المالقى (ت ٥٢٨ هـ) فى إنَّ (الفارس إذا إستعارَ فَرَساً مِنْ غَيْرِهِ أَجْهَدَهُ) (أحق الخيل فى الركض المعار)[١].

وَقَائِلَـــةٍ أتكلـــف بالغَوانِـــى وَقَـــدْ أَضْـــحَى بمفـــرقك الـــبّهارُ[٢]

فَقُلْـتُ لَهـا خـضعت علـى التـصابى أحـــقّ الخَـــيل بالـــركَض المُعَـــارُ

وقال أمية بن أبى الصلت[٣] فى الكرامة وعزة النفس. وقد رَدَّ المعنى الحكيم فى تعبير واضح وجيز.

وجرح السيف يبرأ عن قريبٍ ويعيا المرء من جُـرْحِ اللّسـانِ

لذا يدحض رأى بطرس البستانى الذى يقول (الحكمة فى الشعر[٤] الأندلسى ضعيفة النتاج. ساذجة التفكير ويهديه التصوير لا تدل على ثقافة ناضجة وعلم واسع لأن الفلسفة والمنطق لم ينتشرا فى تلك الربوع أبان دخولها إليهما كما انتشر فى البلاد المشرقية) لكون طريقة التعليم فى الأندلس كانت تلزم تلقين الأطفال الشعر والحكمة والمثل والتاريخ بجوار حفظ القرآن الكريم[٥]: لذا اشتهر بالحكمة من أهل الأندلس فى القرنيين الخامس والسادس الهجريين كل من "محمد بن مسعدة السرقسطى، وأحمد بن طاهر الطرطوش، ويحيى بن عمران القرطبى، وطفيل بن

---

(١) انظر الميدانى: مجمع الأمثال جـ١ ص١٣٢.

(٢) الخريدة: جـ٢ ق٤ ص٦٥٧.

(٣) الديوان: ص١٤٨.

(٤) بطرس البستانى: أدباء العرب فى الأندلس وعصر الأنبعاث: ص٦٠ ـ ٦١.

(٥) د. حازم عبد الله خضر: التعليم فى الأندلس حتى نهاية القرن الرابع: ص٢٢٤ ـ ٢٢٥ ع.السنة ١٩٧٩. (مجلة آداب الرافدين) وانظر كريم عجيل حسين: الحياة العلمية فى بلنسية فى القرن الخامس الهجرى ص٢٤١، رسالة ماجستير ـ جامعة، ١٩٧٦.

عاصم، والحسن بن حرب الدانى، وابن مسرة، ومسلمة البريطى، وأبو بكر بن الصائغ، وأبو بكر بن طفيل، وابو الوليد بن رشد "وكل من هؤلاء محب للحكمة قائل لها. وكانت حكمهم مألوفة فى الشعر وهى اللمحة البارعة من الرأى الصائب الذى يصدق فى الواقع أو يوافق المنطق.

لقد تميزت الحكمة الأندلسية بسهولة ألفاظها وبعدها عن الغريب فصدرت عن شعور صادق وعززت القول وغذت الشعور بصور الواقع بعيداً عن الزيف والتنميق. مضمنا إياها البساطة والسهولة والرقة بعيداً عن الالتواء، ومن الواضح إن الحكمة فى الشعر الأندلسى ليست غرضاً قائماً بذاتها. وإنما جاءت متداخلة مع الأغراض الأخرى كالمديح- والرثاء. وقد أتبع هذا الشعر ذا الاتجاه الفلسفى الحكيم شعر ذو نفحة دينية لا يبلغ إلى أنْ يسمى زهداً وربما خلت من القضايا الفلسفية والقضايا العقلية كتعصب الفقهاء أزدراء العامة لمن يتناولها[1].

لكنها عالجت قضايا اجتماعية عبر فيها الشاعر عن إحساسه فى الحياة فَغَلبَ عليها الطابع الأخلاقى والجانب الاجتماعى لأنها تمثل التجربة الحياتية والقدرة على تصوير الواقع.

---

(١) أحمد ملا فريخ وعبد الجليل خليفة: الأدب الأندلسى: ص١٠٥ ـ ١٠٧.

(الإحسان)

الإحسان:

أكد الله (سبحانَه وَتَعالى) الإحسان بقولهِ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ﴾[1].

وكثيراً ما اقترن البّر بالإحسان، فالإحسان البّر ومنها بر الوالدين[2]. والإحسان هو أن يعطى أكثر مما عليه ويأخذ أقل ممالهِ[3].فهو فعل ما* ينفع غيره بحيث يصير الغير حسناً. كإطعام الجائع.

والإحسان أَعمّ من الجُود والإنعام، وقيل: هو أخص منهما لأن الإفضال إعطاء لعوض. وإذا أحسن لا يمنّ بإحسانهِ[4]. قال المعتمد بن عباد[5]:-

كفايــــة الله خــــيرٌ مـــــن توقيـــنا وعـــــادةُ الله بالإحـــــسانِ تغنيـــــنا

فلـم تَـزدْ نحـنُ مـن سِـرٌوفى علـنٍ علـــــى مَقَالَتِـــــنْا اللهُ يَكْفِيـــــنَا

وَيَرى عُلماءُ الأخلاق إنَّ الإحسانَ ينشأ عن الرفق والحلم والمحبة بل بعضهم ذهب إلى الارتباط الوثيق بين المحبة والإحسان[6].

---

(١) النحل: ٩٠.

(٢) الجاحظ: البيان والتبين: ص٨٣ تحقيق حسن السندوبى ط١/ القاهرة١٩٣٢.

(٣) الاصحاح السابع والعشرون: ص٢٢٢.

(*) تاريخ النظريات الأخلاقية: ص١٥٥. وانظر مفردات غريب القرآن: ص١٧١.

(٤) انظر التبر المسبوك فى نصيحة الملوك: ص١١٢.

(٥) ابن الأبار: اعتاب الكتاب: ص١٧٦ تحقيق صالح الأشتر وهذان البيتان خلا منهما الديوان المجموع.

(٦) أنظر الأخلاق النظرية: ص١٩٩ ـ ٢٠٠.

لقد كان الأندلسى وافر الحظ عند جزاء المحسنين[1]. والإحسان خير ما تراضى به الطباع القاسية وتهذب به النفوس الجامحة وتؤس به القلوب، وتغسل به الصدور مما بها من عملّ[2] وأحقاد، فنعم النّهج سياسة الإحسان[3].

هذا وقد طَرِبتْ الأرواحُ لما أبدته النفوس من كثير إحسان، على ما يبدو، ساق هذا المعنى ابن حمد يس قائلاً[4]:-

وكأنما الأجسام من إحسانها ... مُلِئَتْ بأرواحٍ من الإطرابِ

وقد تعززت ثقة المعتمد بن عباد بخالقه للشفاعة والإحسان[5]:

وَيَازَيْـدُ لقـدْ زاد الـرّجا بكْمـا ... أنْ يـشفَعَ اللهُ بالإحـسان احـسانا

لَمّـا شـفعتَ أخـاكَ الفـتح تتْـبعُهُ ... لَقاكمـا اللهُ غفـراناً ورَضْـوَانا

ومنهم من أغدق العطاء على البلاد، وغمرها بإحسانه كقول ابن[6] اللبّانة:

وعَمْـرتَ بالإحـسان فيروقـه ... وبنـيتَ فـيها مـا بنـى الاسـكندرُ

فكأنهـا بغـداد أنـتَ رشـيدها ... ووزيـرها ولـه الـسلامة ـ جعفـرُ

فى حين بالغ بعضهم فى الإحسان بحث لم يقتصر على البلاد وحدها بل عمَّ جميع أهل الأرض. هذا ما نطقه الأعمى التطليى[7]:-

قد عمَّ بِرُّكِ أهلُ الأَرض قاطبةً ... فكيف أخْرِجُ عنه جارُكِ الجُنُبُ

---

(١) زهر الآداب: ص١٩٢.
(٢) تاريخ النظريات الأخلاقية: ص٨٧.
(٣) م ن: ٨٩.
(٤) الديوان: ص٢١ وانظر نظيره ص٩٧ ـ ص ٤٩٥.
(٥) انظر الديوان: ص٣٠٤ تحقيق رضا السويس وانظر السلفى: اخبار وتراجم اندلسية: ص١٠٦ تحقيق د. احسان عباس.
(٦) انظر شعر ابن اللبانة: ص٤٧ وانظر ابن وهبون: ص٥٤٥ صلاح خالص م الآداب ع١٢ ١٩٦٩.
(٧) الديوان: ص١٨.

وقد قرن الإحسان والبر بالعقل والدين فقال[1]:-

صَـــلاةُ ورضْـــوانٌ وَرَوْحُ وَرَحْمَـــةٌ وكُـلَّ سـحاب لا أخـصُّ الغـواديا

طوى الحسنَ والاحسانَ والدين والحجا وبـيض الأيـادي يكتـنفن الأياديـا

ومنهم من كان سباقاً فى مبادراته للبرّ، ويلقى الوافدين عليه لطلب المساعدة، بالبشاشة والبشر، قال ابن الزقاق[2]:-

يُبادرُ بالإحسانِ كلَّ مُؤَمِّلٍ وتلقى بنورِ البشرِ غُرّتُه الوفدا

وكانت فى الأندلس محاولات مثمرة وهى المعانى التى تتخلف عن انتعاش الأداب والفنون فى الشعوب والأمم لأنها تنمى الذوق وتقوى العقل وتهذب التفكير وتقوم الرأى وتشيع البّر والمعروف وتلك دعائم البنيان والبيئات الصالحة والدول الناهضة والبلاد المتوثبة[3].

ويبدو أن المعتمد بن عباد قد تميز عن السلف بإحسانه ويده التى أيسرها جليل وقليلها كثير فأشاد به ابن زيدون[4]:-

وكَيْفَ بنِسْيانٍ وَقَدْ مَلأَتْ يَدِي حِسَامُ أَيادٍ مِنْك أَيْسَرهَا الوَفْرُ

وقد تأثر ابن السيد[5] البطليوسى (٥٢١ هـ) بما جاء فى القرآن الكريم من الدعوة إلى البر والإحسان والتأكيد على الفلاح بعد ترك المعصية.

---

(١) انظر الذخيرة: م٢ ق٢ ص٧٥١ وفيه (الحجى) وهذان البيتان خلا منهم ديوان التطيلى ضمن قصيدة له يعزى فيها ابن مرتين . علما أنه عاد إلى (نسخة بغداد الخطية).

(٢) الديوان: ص١٣٦.

(٣) د. إبراهيم على أبو الخشب: تاريخ الأدب: ص٢١٤ .

(٤) الديوان: ص٥٦٨. وانظر نظيره ديوان ابن الزقاق: ص١٣٦ وديوان الأعمى التطيلى: ص٢٠٥، وانظر قلائد العقيان لأبى القاسم محمد بن الجد الفهرى (ت ٥١٥ هـ): جـ٢ ص٣٢٥، وانظر المصدر نفسه: جـ٢ ص٣٢٧.

(٥) المورد: ص١١٢/ م٦/ع١/ ١٩٧٧.

قُـــلْ لقـــومٍ لا يَـــتوبُونَ وعلـــى الإثـــم يـــصرّوُن

خففـــوا ثقـــل المعاصـــى أفلـــح القـــوم المخفـــون

لَـــنْ تـــنالوا البِّـــر حتـــى تُـــنفقوا ممـــا تحـــبّوُن

كَفَى بذلكَ دليلاً على مَلكة الإحسان لديهم إلاّ إنها من القيم التى يقلّ أن يعثر لها الباحث على نظير فى أزهى عصور الأدب والتاريخ.

(الكَرَمْ)

١ - مفهوم الكرم.
٢ - أقسامه.
أ ـ السخاء.
ب - الجود.
ج - الإيثار.
٣ - مظاهره.
٤ - أساليبه.

مفهوم الكرم:-

الكرم قيمة أخلاقية محمودة، وهى تعنى فى معاجم[1] اللّغة إحسان الإنسان وإنعامه تجاه الآخرين.

أقسامه:-

ولزيادة اهتمام العَرب بالكرم فقد قسموه إلى ثلاثة أقسام فقالوا:- (مراتب الكرم ثلاثة، سخاء، وجود، وإيثار)[2].

أ - السخاء:-

إعطاء الأقل وإمساك الأكثر، أى التوسط فى الإعطاء. وهو بذل المال من غير مسألة ولا استحقاق وهذا الفعل مستحسن ما لم ينته إلى السَّرف والتبذير فإن بذل جميع ما يملكه لمن لا يستحقه لم يسمَّ سخياً. بَلْ يُسَمى مُبذِّراً[3].

والسَّخاءُ من القيم التى هَجَ بها الشعراءُ فى فخرهم ومدحهم (فَسادة الناس فى الدنيا الأسخياءُ وسادة الناس فى الآخرة الأنبياء)[4] لذا عُدَّ قيمة عُليا وفضيلة من الفضائل التى يجب توافرها فى الملوك والخلفاء. وعلى هذا الأساس أصبح المعتضد أسمى أب طاوله فى مَجدِه وسُموهِ أسمى نجل بعد أن تَهلَلَ وجهه بالسماح وفاضت يَداه بالسخاء قال فيه:- ابن زيدون[5] :-

---

(١) انظر لسان العرب: مادة (كرم) وفى الجود انظر م ن :ج١٤ ص٣٧٣.
(٢) نهاية الارب فقى فنون الادب: ج٣ ص٢٠٢. ط. المصرية ١٩٢٤.
(٣) تهذيب الاخلاق : ص٢٩.
(٤) الخوارزمى: المكارم والمفاخرة: ص٨ نشر عزت العطار/ ١٩٣٥ القاهرة.
(٥) الديوان: ص ٦٠٠-٦٠١.

أَصْبَحَ أَعلَى وَالِدٍ فَاوَقَهُ أَسْنَى وَلَدْ
حَدَّثْنا عَنْ سَرْوَرِهِ* نَاهيكَ مِنْ قَربٍ سَنَدْ
مَلْكٌ -إذا نَحْمُ آعْتَقَدْ نامِنْهُ أَوْ فَى مُعْتَمَدْ

وفى السخاء (الجو د الفطري) الذى لا يستجيب لِلوم اللائمين ولا يرجع الى تقويم الناصحين يقول أبو الفضل جعفر بن شرف (ت٥٣٤ هـ)[١]

يَمينٌ مُلكت رقّ المساعى وكفُ أعذيتْ ماُ السماح
وفضلٌ لا ينيب إلى فصيح وَجودٌ لا يصبحُ لقول لاح

أمَا ابن الحناط (٤٣٧) فقد أطربَ ضيوفه لإ فراط سخائه ولم يحجبه عنهم قائلاً:)[٢]

يَسحّ به للندى هاجسٌ إذا جاءَه الضيفُ لا يحجبُ
فقالت: أغى الحق لو أننى أرى مثل هذا ولا أُطربُ

ب) الجود

ارتبط معنوياً مفهوم السخاْ بالجود، ويقال رجل جواد أى سخى والجمع أجواد[٣]. والجودُ من جاد عن قلق وصان وجه السائل من المذّلة[٤]. والجودُ من الفضائل الإسلامّية التى تتمتع بها أمراء المسلمين الذين تمسكوا بالخشّية من ربّ العالمين فى ذلك يقول أبو زيد عبد الرحمن بن مقانا الأشبونى[٥]

(*) انظر فى الكرم والجود. د. حسن باشا: الألقاب الإسلاّمية فى التاريخ والوثائق والآثار: ص٤٣٠٧ ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٧.

(١) انظر الخريدة : ج٢ ق٤ ص٣٨ . ترجم له صاحب الذخيرة / م٢ ق٣ ص٨٦٧- ٨٨٦، ولم يذكر الابيات.

(٢) الخريدة: ج٢ص٢٣٩.

(٣) لسان العرب: ج١٤/ ص٣٧٣.

(٤) انظر العقد الفريد: ج١ ص٢٣٩.

(٥) الذخيرة:م٢ ق٢ ص٢٣٦.

ويـــنادى الجـــود فـــى آفاقـــهِ يمّمـــوا قـــصر أمـــيرَ المـــسلمين

ملـــــكٌ ذو هيـــــبةٍ لكّـــــنه خاشـــــعٌ لله ربِّ العـــــالمين

لقد وردت نصوص فى الذخيرة تدل على أن بعض العوائل الأندلسّية لهم باع طويل فى الكرم يقول: (ولبنى القاسم فى الجود. ولهم تقدّمٌ مشهورٌ معلوم، بَلغنى أُن جدَّهم الأكبر أحمدُ بن المدبر،حامل تلك الفضائل، وصاحب الأعمال الجلائل[1]. ومنهم قد بالغ فى الجود كقول وليد بن مسلمة المرادىِ، أبو العباس من شعراء الدولة العامّرية فى المنصور بن أبى عامر وقد رأى زيادة النهر فى أيام الزيادة فقال[2]:-

أما تَرى النَّهر يا منَصور كيف طَفا وعَمَّ من جاورَ العبرين بالضَّرَرِ

واعجِبْ لِجُودِكَ لم يَغْن الوْرىَ غَرقاً فيه وقد عَمَّ أهْلُ البذْوِ والحَضرِ

مـــا ذَاكَ الا لأن الجـــوُدَ عُنْـــصرهَ صَـــافٍ غَمـــير وهـــذا بـــيِّن الكَـــدرِ

ومن حكايات أَهل الأندلس فى الجود والفضل ما كتبه المقّرىِ:- إن أبا العرب الصقلى حضر مجلس المعتمد بن عباد . فأدخلت عليه جملة من دنانير الشكة . فأمر له بخريطتين منها وبين يديه تصاوير عنبر من جملتها صورة جمل مرصّع بنفيس الدّر، فقال له أبو العرب: ما يحمل هذه الدنانير الاّ جمل فَتبسَم المعتمد وأمر له به، فقال:-

أَعْطَيْتَنى جَملاً جَوْناً شفعتَ بهِ حملاً من الفضة البيضاءِ لو حُمِلا

نتاج جودك فى اعطان مكرمةٍ لا قِدَّ تعرِفُ من منع ولا عُقلا

---

(١) الديوان: ص١٩٢. وانظر نظيره ص١٩٩، ومسئلة ابن وهبون ص٥٤٨، صلاح خالص .

(٢) بغية الملتمس:ج٢ ص٦٤٧ -٦٤٨ ترجمة ١٤١٩

(*) وفى الذكر كرم الرجال وخلودهم هم انظر رسالة الماجستير: القيم الجمالية فى شعر الاخطل: ص ٣٨.

فأعجَبْ لشأنى فشأنى كلّهُ مكرمةٍ رَفَهْتنـى فَحملـتُ الجِمَـلَّ والجَمـلا

وَقِيلَ ان ذلك الجمل بَيع بخمسمائة مثقال . فسارت بهذا الخبر الركائب، وتهادته المشارق والمغارب[1].

ويرى ابن عبد الصمد أنَّ عطاء الممدوح قد فاقَ ما كان يعطيه رحال الكرز المشهورين من أمثال حاتم الطائى فأغناه ذلك من الترحال وراء الحاجة بعد أن وجد فيه ما يغنيه عن ذلك فقال مادحاً المعتمد[2].

أَخجلـت فـى الجـود الـذى دفقـت حـاتم طـى وفـضحتِ كعـبَ أيـادِ

أَغرقتنـى فـى بحـرك الطامـى الـذى مـــنح الظمـــاء ورود كـــلّ ثمـــادِ

وقد يكسب الجود المرء خلداً مع الزمن وإن كان الخلد غير ممكن، والكرم عُرف به هرمُ بن سنان المّرى، وحاتم الطائى ومن سواهما من الأجواد قال أبو جعفر بن أحمد [3]

ولم يُـرَ مـثلَ الجـود للمـرءِ حُلّـةً وَهـل يـستوى قـدراً جـواد وباخـلُ

يـذمُم بالـبخلِ الـشريف انتـسابهُ وتحمـد بالجـودِ الخـساس الأراذلُ

أما المغالاة فى الجود فتظهر واضحة فى قول ابن خفاجة[4]:-

طَمـى الجـودُ فـى يُمْـناهُ بحـراً وإنمّـا تَدَفّـقَ فـى أرجَائِهـا فـتَدفعا

وأعـدى نـداه الغـيث فانهـل واكفـا وحسبك مـن سقيا أن انسجما معـا

---

(١) الديوان: ص١٩٢ . وانظر نظيره ص١٩٩، ومستلة ابن وهبون ص٥٤٨، صلاح خالص .

(٢) م ن: ص ن: .

(٣) الذخيرة: م٢ ق٣ ص٧٧٢.

(٤) الديوان: ص٥٨ وانظر نظيره فى: ابراهيم المراكشى: الأعلام بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام:ص٢٧

ويطا لعنا عبد الله بن يعقوب الانصارى بجوده المنفرد النظير الذى لو قيس جود البَرية به لم يبلغ عشر جوده[1]:-

يـا غايـة الْجُـوْدِ الّتـى مَـا بَعْـدَهَا ... للواصـفين سـوى وقـوف حـسور

ياغايتى فـى مـدح مِـنْ هُـوَ غايـة ... للـود غـير العجـز والتقـصيرِ

اللهُ شـارِكَ للمعاَضـلى والـندى ... وبـراكَ منفـرداً بغـير نظـير

لو عدّ جودك كلّ من فوق الثرى ... لم يـبلغوا مـن (ذاكْ) عـشر عـشير

وقد سجل الشعراُء أمثلة رائعة فى الجود والكرم من ذلك قول ابن عمار[2]:-

وجهلـت معنـى الجـود حتـى زرتُـه ... فقـرأته فـى راحتـيه مفـسرا

فـاح الثـرى متعطـراً بثـنائه ... حتـى حـسبنا كـل تـوب عنـبرا

أما الجود عندَ المعتضد فقد كان حلوا عند زلالا المذاق[3].

أبـصرتَ رُشْـدى فـى الـندى ... فالـبخل عـندى كالـضلال

هـذا زعـافٌ طعمـه ... والجـود حلـو كالـزلال

وقد روّض محمد بن سليمان بن القصيرة (ت٥٠٨هـ) الناس على الجود . وربما أصبح البخيل جَواداً ، لقوله[4]:-

وأجريت ماء الجود فى عَرَصاتِها ... فروَّضَ حتى كادَ أنْ يورقَ الصخر

---

(١) ابن الدلائى: نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الاخبار وتنويع الآثار والبستان فى غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك: ص١٢٨ تحقيق د. عبد العزيز الاهوانى ١٩٦٥، مطبعة الدراسات الاسلامية، مدريد.

(٢) الديوان: ص١٩٢ . وانظر نظيره ص١٩٩، ومستلة ابن وهبون ص٥٤٨، صلاح خالص .

(٣) الديوان: ص١٠٧.

(٤) الاحاطة فى اخبار غرناطة: ج٢ ص٥١٨ وانظر نظيره فى ديوان ابن خفاجة ص٣٥، ١٥٥، ١٨٢، ٢٠٦وفى اخبار مجموعة ص١٤٢ تحقيق ابراهيم الابيارى.

وعليه فإن الكرم من المواضيع التى تغنّى بها الشعر وحثّ عليها وقد حاولوا ان لا يشعر ضيفهم بقلة الحال، مما دفعهم الى التظاهر بالغنى ووسع الحال. فضيق الحال لا يمنع الجود

ج) الإيثار:-

ضَرْبٌ من البرَّ، البر بالعمل، وانه بذل الجاه والمساعدة وهو يبعث على حب الخير للناس. وإيثار الصلاح لهم[١]. ومن آثر غيره بالحاضر وبقى هو فى مقاساة الضرر فهو صاحب إيثار[٢]

وصاحب الإيثار هو (الأكرم حسباً، والأشرفُ زمَنَاً، إنْ فُقِدَ عَيْنهَ لم يُفْقِدِ أَثره أو غابَ شخصه لمَ يغِبْ عَرْفُهُ)[٣].

والإيثار إعطاء الكل من غير إمساك بشيء وهو أشرف درجات الكرم، ومما يؤكد هذه الناحية بدرجة عالية كثرة الشواهد الشعرية عليه. فى ديوان المعمد، وابن عمار[٤]، وابن جفاجة[٥] ويَعُد (الإيثار والنبل والمؤساة والسماحة والمسامحة)[٦] كلها نظائر الكرم.

ويقول ابن عمار الأندلسى (وكان فى ضيافة المعتصم صاح المرّية فلما أزمع الرحيل استرحمه بهذه الابيات[٧])

ياواثقــاً وصــل الــسما ح الجود فى فضل السماح

---

(1) الفكر التربوى العربى الاسلامى الاصول والمبادئ: ص٢٦٠ تونس١٩٨٧.

(٢) المستظرف من كل فن مستطرف: ج١ ص١٥٦.

(٣) الذخيرة: م١ ق٢ ص١٢٨.

(٤) الديوان : ص٤٤، ص٢١٤

(٥) ديوان ابن خفاجة: ص٥٨/٩٧.

(٦)ابن مسكويه وفلسفته الاخلاقية:ص٢٩٢، وانظر محمد مولود المشهدانى،الشعر الاجتماعى فى الاندلس من الفتح الى نهاية عصر الطوائف:ص٩،٧٩رسالة دكتوراه

الديوان: ص٢٥٦.

(٧) الديوان: ص٢٦٥.

ومطابقـــاً يأتـــى وجـــو ... ه الجـد فـى طـرق المـزاح

أســرفت فــى بــر الــضيا ... ف فجـد قلـيلاً بالـسراح

ويرى ابن وهبون ان ممدوحه قد جاوز حد الإسراف فى كرمه حتى بات يشكو نداه على رغبته فى ذلك يقول مادحاً الرشيد بن المعتمد[1]:

قـل للرشـيد وقـد وهـبت نـوافحها ... أَسَّـرفت ياديمـةَ المعـروف فاقتـصد

أشكوا اليك الندى من حيث أحمدَهُ ... لـو فـاض فيـضاً علـىَّ البحـر لم يـزدِ

عجبت مـن كـرم فـى راحتيك يـدا ... إشـراقُهَ كـيفَ لَـمْ يعـز الى الفَـنَد

جاءت سحابك اذ جاءت على أملى ... فقـال اشـياعها جـاءت علـى بَلَـدِ

مظاهره:ـ

ومن الملاحظ ان فضيلة الكرم قيمة متوارثة اهتمَّ بها العرب المسلمون على عهود وأجيال طويلة متعاقبة ولم تكن وليدة حينها ويرى ابن عمار الاندلسى أنَّ نعمة الكرم التى اهتز لها الانسان طرباً والتى اشتهر بها المعتمد وقومه بنو لخم هى مستمده من أبيه المعتضد الذى فاق حاتم طئ فى الجود والكرم.

لَـهُ هِـزَّةً فـى الجـود معتـضدّيةً ... تهـزَّ الى تَـشْتِيتِ شَـمل الْـدَرَاهِمِ[2]

سمـا بأبـيه ذروة الـشرف الـذى ... أباطحـه سـهل الـندى والمكـارمِ

بمعتـضد بـاللهِ يمـناه مـرتع ... مـريع لآمـال الـنفوس الـسوائم

اذا نـشرت لخـمٌ بذكـراه فخـرها ... طـوت طـيء مـن خجلـه ذكـر حـاتِمِ

---

(١) انظر شعر ابن وهبون المرسى: ص١٣٠ وانظر م ن: ص٤٧

(٢) ديوان محمد بن عمار: ص٢١٤. * طى يضرب به المثل – وهما آية فمن الجود والكرم. انظر ثمار القلوب: ص١١٧ وانظر نظيره فى مدح يحيى بن تميم. ابن الآبار: المقتضب فى كتاب تحفقوة القادم. وديوان التطيلى: ص ١٢٠.

ومن مظاهر الكرم ان ليس للمال قيمة فى نظرهم وإن القيمة كل القيمة للكرم الذى يخلد الذكر فى ذلك قال أبو مروان عبد الملك بن رزين [1]:-

ومـــن أذلَ المـــالَ عـــزتْ بـــه ... أيامَـــهُ وانـــصرفتْ جُـــنْدَه

فاهـدمْ بـناءَ الـبخل وارفـض بـه ... مـــن هـــدَّم الـــبخل بنـــى مجـــده

لا عـــاشَ إلاّ جَائِعـــاً نائِعَـــاً ... مَـــنُ عـــاشَ فـــى أَمْـــوالهِ وحـــده

أما طلاقة الوجه والترحيب بالضيف والبشاشة فكانت مظهراً من مظاهر الضيافة والكرم. فقد قيل (تمام الضيافة الطلاقة عند أول وهلة وإطالة الحديث عند المواكلة) [2] فى ذلك يقول المعتضد [3]

وَلاْ أَلتقى ضَيْفى بِغَيْر بَشَاشة ... إذاً فجحدت الله مَعْرُوفه عندى

وهناك نوع آخر من مظاهر الكرم وهو كرم الأخلاق الذى تتمع به الأندلس ومنهم القاضى جعفر بن عبد الله حيث قال فيه ابن رشيق القيرواني(ت ٤٦٣ ه) [4]:-

كَـــريمٌ أرادَ اللهُ إتمـــام فـــضله ... فأخلاَقـــهُ أرض وجـــدواه أَمْطَـــارُ

وَلم أرَ بحـــراً قـــط يدعـــى بجعفـــر ... ســـوَاهُ و إلاّ فالجعافـــر أَنهـــارُ

وعن كرم النفس وطيبها يخبرنا ابن خفاجة الأندلسي [5]:-

---

(١) الذخيرة: م١ ق٣ ص١١٩.

(٢) الحياة العربية فى الشعر الجاهلى: ص٣٠٩

(٣) ديوان المعتضد بن عباد: ص١٠٨

(٤) الديوان: ص٨٩-٩٠ قطعة٨١

(٥) الديوان: ص١٩٥.

وأمضْي فأمَّا بَيْتُ نَفْسٍ كَرِيمَةٍ يُهَدَّ وإمَّا بَيْتُ عزّ يُشَيَّدُ

ويقرى أبو حفص عمر بن الشهيد (ت٤٤٠هـ) الضيف ذاكراً المنهج يسير علته عند حلولِ ضيفه أهلا ونزوله سهلاً. فلم يكتف بالطعام والشراب بل يقدم له الكسوة واللّباس، ماناً عليه حسن الضيافة وكرمها[1].

سادةٌ ناسٌ لنا في هذه الدنيا دَوِيٌّ
عندنا إنْ جاءَ ضَيْفٌ شبعٌ جَمٌّ وَرِيٌّ
وسريرٌ حَشْوهُ ري شَ الفراريج وَطي
وكراماتٌ كثيراً تٌ وهيئاتٌ وزيٌّ

وتظهر معالم الكرم العربى وهو التحدث بالنعمة وإقراء الضيف بأحسن ما يملك وهذه القيم متوارثة ومما يوصى بها الأب أبناءهَ[2]:-

ومن شيَمتى مهما تُزين منزلى بضيفٍ أنْ أقريهِ بأحسنِ ما عندى
لو أنّ دَمِى خَمْرٌ لروّيتَه بهِ ولو صَلْحَت كَبدِى شَوِيْتُ لَهُ كبدي
بذلك أوصانى أبى مُذْ عقلتُه وقد كانَ أوصاهُ بذا قبله جدّي

ولعل أبرز المشاهد الانسانية لظاهرة الكرم تنويع الطعام عند إقراء الضيف. قال المنفتل[3]

يا أجود الناس بما عندَه إلا إذا استعملَ مرقاسا

---

(١) الذخيرة: م٢ ق١ ص٦٧٨.

(٢) م ن: م٢ ق١ ص٦٨٠ وانظر نظيره لابن الحداد ٤٣، ٤٤، ٨٩.

(٣) الذخيرة: م٢ ق١ ص ٧٥٨. * المنفتل شاعر من ملوك الطوائف

(*) المرقاس: او المركاس: نوع من النقانق، يدق اللحم ويعرك فى قصعة يشئ من الزيت ثم يضاف اليه ثالثة ارباعه من الشحم ويحش به المصران ويقلى ثم تصنع له مرفق من خل وزيت.أنظر نظيره فى الذخيرة: م٢ ق١ ص ٧٦٣. وانظر من: ص٨٧٥.

فـــان يُـــنِلها عُـــذرُهُ بَـــيّنٌ إذْ لَـــمْ يَجِـــدْ فـــيهن أنفاســـا

أساليبه:-

من الأساليب القديمة التى اتبعها العرب هو إضرام النار ليلاً لهدى السَّراة، فنار الضيافة من أكثر الأساليب احتواءً لمضامين الكرم وظل هذا الأسلوب يمدح به الشعراء على مر العصور فى ذلك مدح الأسفد بن بليطة المعتصم بن صمادح [1]:-

رفيعُ عماد النار فى اللّيل للسرى فما يخبط العشواء طارقه خبطا

أقولُ لِرَكْبٍ يَمموا مسقط الندى وقد جاور الركبان من دونها السّقْطا

وقد أوقد نار الضيافة أبو عمرو عباد فمدحه ابو بكر بن القوطية [2]. حين قال:-

والموقد النار جوداً للضيوف وقد جفَّ المراد وخفَّ الرحلُ والزادُ

ومن أساليب الكرم وحسناته أنَّ عطاء هم كان بدون مَنٍّ يقول أبو عبد الله بن خلصة الضرير:-

وَلاْ عيبُ فى انعامِهِ غيرَ أنّه اذا مَنَّ لم يُتْبِعْ مواهبه [3] مَنّا

تقيّلَ من آبائِهِ العزّ سادةً قُيولاً فبذَّ البحرَ واحتقر المزنا

ويعترف ابن بقى القرطبي [4] بالنوال دون مَنٍّ ولا اذى قائلاً:-

كَمْ نُلْتَ مِنْهُ بِلاّ مَنّ وَلا عدةٍ مِنَ الُمكارم مَا لَمْ يجر فى بَالِي

---

(١) الذخيرة: م٢ ق١ ص٨٠٠، البيت الاول فى وفيات الاعيان: ج٥ ص٤٣.

(٢) المورد: م١٤ ع١/ ١٩٨٥ وانظر ابن دراج-٦٧-٦٨ وابن زيدون ص٣٧٣ وديوان ابن حمد يس ٢٧١، وديوان ابن الزقاق البلنسى ١٦٦.

(٣) الذخيرة م١ ق٣ ص٣٢٥.

(٤) الدكتور محمد مجيد السعيد: لبن بقى القرطبى: ص١٤٣ / ١ / ٧٨.

كأمنا الضيف اذ يحتل ساحته فى روضة من رياض الحزن محلال

ومما زان قيمة الكرز أسلوبهم المدرار فيه فكأنه سيل جارف فى العطاءو فى ذلك قال المشرف أبو بكر محمد بن أحمد بن رحيم[1]:-

وَحُسنُ خَلائِق زَانَتْ فَجَادَتْ كَمْا هَيًّا النسيمُ مَع العَشّ

مَصُونُ العرض مبذول العطايا ندى التوب مبرور الندي

جوادٌ جودُهُ ان سيلَ سيلُ وياتى عُرفُهُ مِثلَ الأتى

يمدُّ الى العفاة يمين يُمنٍ تلين قسوةَ الدهر الأبى

ولم يقتصر الكرم على بذل المال والطعام بل تعداه، وتعددت أساليبه فيه، فهذا يولى الجميل ويستر العصيان ويقرى ضيفه البر والاحسان وهو اسلوب محصن فى كرم الأخلاق[2].

ولقد أيقن الاندلسى بان الله يبعث رزق الضيف فيحمده ويشكره على آلائه ومننهِ قال أبو الحسن جعفر بن ابراهيم اللتونى المعروف بالحجاج[3].

لِمَ لاَ أُحِبَ الضَّيفَ اوْ أَرتَاحُ مِنْ طَرَب إِليهِ

والضيفَ يأكل رزقه عندى ويشكرنى عليهِ

وافتقدنا فى الأندلس الأسلوب الذى اتبعه رجال الكرم كاستنباح الكلاب وارغاء البعير، وربما يعود ذلك لتباين البيئة واختلاف الزمن فى حين دلت الضيافة على مساعدة المحتاج والضعيف فى وقت الشدّة باذلين كل ما فى وسعهم لإسعاد ضيفهم، على الأخص أهل قرطبة[4].

---

(١) الخريدة: ج٢ ص٣٧٠-٣٧١.

(٢) انظر اخبار وتراجم اندلسية: ص١٠٤ وابن الصيرفى: المختار من شعر شعراء الاندلس ص١١٠

(٣) انظر اخبار وتراجم اندلسية: ص١٥٦.

(٤) الحلل السندسية فى الاثار المراكشية: ج١ ص١٩٤. وانظر أبا حاتم البستى روضة العقلاء انظر بشرى الخطيب: الرثاء فى شعر صدر الاسلام: ص٨٨ . رسالة ماجستير.

ولقد تميز كرم الملوك عن كرم العامة بقيمه المعنوية وبالأجواء التى يقوم بها[1]. فمحى الدين بن عربى حُمِلَتْ إليهِ عَطايا الملوك وسادتها فكان يتصدق بكل ما يصل إليهِ حتى لُقّبَ بريح الكرم[2] . هذا وقد جمع بين خدمة الضيف وعفة النفس النادرة وهى جزء من الضيافة المعنوية. قال المعتضد:-[3]

لَقَدْ بَسَطَ ٱللهُ ٱلمَكارِمِ فى كَفَّى ... فَلَسْتُ عَلى العَلّاتِ منها أَخا كف

تُنادى بيوت ٱلمالِ من فرطِ بذله ... يمينى: قد أسرفت، ظلمتى، كفى

لَعَمْرُكَ ما الإسراف فى طَبيعةٍ ... ولكنَّ طبع البصل عندى كآلحتف

---

(١) انظر بشرى الخطيب: الرثاء فى شعر صدر الاسلام: ص٨٨. رسالة ماجستير.

(٢) محى الدين بن عربى: ذخائر الاعلاق وشرح ترجمان الاشواق ص٣ حققة وعلق عليه محمود عبد الرحمن.

(٣) الديوان: ص١٠٧ مجلة المورد: م٥ ع٤/ ١٩٧٦، وانظر ديوان ابن الزقاق البلينسى: ص٨٦، ١٣٦، ١٤٦ والبلونى، ص١٥.

(العفاف)

العفاف

للعّفة تفسيران لُغوى وإصطلاحى فاللُغوى من عَفَّ عِفَّةً، كما قالوا قَل قِلَّة[١]. والعفّة:-

(بقّية اللَّبن فى الضرع ولعلها تقرأ (غِفّة) بالغين المعجمة وهى البلغة من (العيش)[٢]. والرجل العفيف الطاهر الذى يبتعد عن كلّ أنواع المحارم والأطماع الدَّنيّة[٣].وقد أمر اللهُ سبحانة[•] وتعالى الإستعفاف والتعبير عنها بالعفة فى مجال علاقات الرجال بالنساء أو النساء بالرجال، أو المال[٤]. كجريمة أكل مال اليتيم[٥]. والتعفف عما يتصرف الانسان فيه من مال غيره وما يوثق به عليه[٦]. والاكتفاء بما يقيم أود الجسد وحفظ صحته[٧]. وحد العفة آن تغض بصرك وجميع جوارحك عن الأجسام التى لا تحل لك[٨] ولمّا كانت العفة تسعى (الى تنظيم السلوك الظاهر والسلوك الباطن للانسان)[٩] فينبغى للعاقل أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام الآ

---

(١) المخصص: م٤ سفر١٣ ص٩٩ ط . دارالفكر.

(٢) انظر هامش الذخيرة: م١ ق٢ ص٢٨٥.

(٣) لسان العرب: ج٩ ص٢٥٣.

• اكد القرآن ضرورة الاستعفاف لمن لا يملك القدرة على الزواج قال تعالى **﴿وَلْيَسْتَعْفِفْ الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِه﴾**.

(٤) انظر البقرة: ٢٣٧، النور: ٣٣ النساء: ٦.

(٥) الدكتور محمد البهى: من مفاهيم القران فى العقيدة والسلوكك ص٢٥٩.

(٦) تهذيب الاخلاق ص٢٧ (يحى بن عدى).

(٧) المصدر نفسه: ص٢٤.

(٨) ابن حزم: رسالة الاخلاق: ص٢٨.

(٩) د. عبد الرحمن بدوى: الاخلاق النظرية: ص١٨٢.

كلاماً تظهر المصلحة فيه، فقد يجر الكلام المباح إلى مكروه[1]، ولذا تحرزَّ الأندلس من فجور القول فى سلوكه الظاهر فقال ابن حمد يس [2] فى عفة اللسان• رابطاً إياها فى فلسفة خلقّية:-

عَفــافُ اللّــسانِ مقــال الجمــيل وفــسق اللّــسانِ مقــال القبــيح

ومــالى ومــا لا مــرئ مــسلم يــروح بــسيف لــسانى جــريح

أمّا فى عفاف الطرف فقد قال عبد الله بن محمد بن حزم الاندلسى (ت٤٦٠ هـ):-

بَــصَرى فاتــكٌ وَطَرْفــى عَفــيف عَـنْ حَـلاَلٍ وَعَـن حَـرام ضَـعيف[3]

فَوحــق القــرآن إنــى لَعَــفٌ غيَــر أنّــى للغانــياتِ ألــوفْ

وهذا أبو بكر غالب[4] بن عبد الرحمن بن عطية يقول فى عفّة السمع:-

إذا لمَ يكنْ فى السمَّع منى تصاونٌ وفى بصرى غضٌّ وفى منطقى صمتُ

فحظى اذن من صومى الجوعُ والظما وان قلتَ إنى صمتُ يوماً فَماْ صِمْتُ

وهناك أشعار تدلنا على السلوك العفيف وتظهر صفات مطوّية وتصور أخلاقاً وسجايا عالية، وتكشف عن الطهارة والطيبة والرّقة للملوك والعامة. قال عبد الله بن سعيد بن عباس بن مالك بن مُدبر الأزدى.

خمـصُ البطونِ فـى الحـرامِ، اَعِفَـةَ لا يعـرفون سـوى الحـلالِ طَعَاْمـاً[5]

---

(١) المستطرف: ج١ ص٨١.

(٢) مقدمة الديوان: ص٢٠.

• فقد قيل (أفضل الناس من سلم الناس من لسانه ويده

(٣) ابن بشكوال: الصلة: ج٢ ص٤٣٠ ترجمة (٦٢٥)

(٤) السلمى: اخبار وتراجم اندلسية: ص٣١. د. احسان عباس.

(٥) التكملة لكتاب الصلة: ج٢ ص٩٠٥ * كان من اهل التواضع والطهارة.

قَـومٌ: اذا هَجَـعَ الظـلام علـيهم قامـوا، فكانـوا سُـجَّدا وقـياما

وأفضل ما يكون المرء عفيفاً فى أيام شبابه، يقول ابن الزقاق[1] البلنسى:-

حليف عفاف والشبابَ غَرانِقُ وكَيفَ بهِ والصبحَ فى الليل مُسْئدَ

أما ابن وهبون فقد رفض كل أنواع الدنايا وأظهر التمسك بشيمة العفاف قائلاً:-[2]

فأننى والعفافُ من شيمى آبى الدَّنايا وأعشقُ الحسنا

ومن الملاحظ أن موازينهم الحقيقة طبعت بشيم الطهارة والعفاف، فى ذلك يقول أبو بكر الدانى:-[3]

أقْـصِرْ عَـنْ لَهْـوِهِ وَعَـنْ طَـربه وعـفّ فـى حـبّه وفـى عُـرَره[4]

الهـاه عَمـا عهـدت يُعجـبه خـيفة يـوم تبلـى سـرائره

ومن القيم الخلقية التى تمسك بها العربى الكف عن المحارم[5] والإبتعاد عن مواطن الريب والزلل دلالة على نبل الاخلاق وحماية العرض والاعتداد بالنفس، فكان لابدّ للرجال والنساء من التعفف لأن العدوان على العرض معناه جر فاعله الى ويلات الحرب[6]، فكانت نفوسهم تبغض الشهوات وتأبى الدنايا والفجور، يقول محمد• بن يحيى بن حزم (ابو الوليد (ت بعد ٥٠٠ هـ)[7]

---

(١) الديوان: ص١٥٣. غرانق: ناعم جميل. مسئد: الاستاذ وهو السير ليلا.

(٢)القلائد: جـ٤ ص٧٦٣ وقد اخل به مجموع شعره للدكتور صالح خالص. مستلة مجلة كلية الاداب عدد ١٢/ ١٩٦٩-١٩٧٠.

(٣) الديوان: ص٦٦.

(٤) طوق الحمامة: ص١٤٢-١٤٧ تحقيق حسن الصيرفي

(٥) فاضل عواد: القيم الخلقية والاجتماقية فى الشعر العرب يفى عصر صدر الاسلام، المديح والهجاء: ص٥٩ ط١٩٨٢، رسالة ماجستير.

(٦) أحمد الحوفى: الحياة العربية فى الشعر الجاهلى:ص٢٦١.

• هو ابن عم الفقيه أبى محمد بن حزم وكنيته ابو الوليد، وانظر الذخيرة م٢ ق٢ ص٦٠٣.

(٧) ابن شاكر الكتبى: فوات الوفيات والذيل عليهاك ج٤ ص٥٣-٥٤، تحقيق د. احسان عباس.

وقد عاتبته الراح حتى رمتْ بهِ لقَى بين ثُنيَى بردتى ورداءي
على حاجة فى النفس لو شئت نلتها ولكن حمتنى عفتى وحيائي

وفى الصّلة مع العفة وعدم القطيعة يقول ابن رشيق[1] القيروانى:-

مَنْ جَفَانى فانّنى غيُر جافٍ صَلةَ أو قطيعة فى عفافِ
رُبَّما هاجرَ الفتى مَنْ يُصا فيه ولاقى بالبشر من لا يصافِ

وقد يبلغ المرء مراده[2] بالعفاف على حد تعبير محمد بن سعيد العنسي(ت٥٣٩ هـ).

مَا بَيْنَ زَينب عُمْرِي أَحْدَثَ كَأسُ وَحَمْدَه
وكلّ ونظمٍ ونثرٍ وحكمتى مستمده
ولـيس الأ عفافٌ يبلّغ المرء قصده

وقد تؤدى الأشعار على حسب وجهات النظر الى التفسير النظرى والنفسى (للطهارة والعفة) وطهر السمعة[3]. فتزدان الأخلاق بالعفة كما يزدان العَالِمُ بعلمِهِ.

امّا فى عفّة السيف والابتعاد عن ضرب أعنق الأبرياء فلا ينزل سيفهم، إلاّ على رؤوس الظالمين لعِفّتِه وَطُهْرِهِ، يقول ابن حمد يس[4] فى ذلك:-

وعفّةُ سيفٍ، ليس يبرقَ بالرّدى اذا سلّهُ، إلاّ على رأس ظالمِ
يغضّ ختامَ الهام قطعا عن الطلى بيسرى اذا اليمنى قبيعةُ صارم

---

(١) الديوان: ص١١٨ قطعة (١٠٨).
(٢) الاحاطة فى اخبار غرناطة: ج٣ ص٢١٦ز
(٣) كراتشكوفسكى: الشعر العربى فى الاندلس ص١٩. وانظر فى شعر ابن الحداد: ص٨٥.
(٤) الديوان: ص٤٤٧.

ولما كان العفاف رأس مال المرأة فقد أظهر الأعمى التطيلى زوجه بعيدة عن كلَّ فاحشة مفتخراً بعفافها وحزمها، بعد أن جمعت بين الإقدام والحزم والعفاف قائلاً[1]:-

عفافاً وإقد اماً وحزماً ونائـــلاً وهيهات يَحْكى واصفٌ ما هنالك

وَيَقولُ فى موضع آخر فى رثائها[2]:

وفى ذلك القبر المقدس بربه عفافٌ وإقد امٌ وحزمٌ ونائلُ

وقد حظيت المرأة بلقب (نبت العفاف) لفرط عفافها. ويبدو أن هذا اللّقب قد دار [3] على ألسنة الشعراء ومنهم الحصرى المكفوف(ت ٤٨٨هـ)

خضبت الشيب. أخدعها فقالت تشبهت الحمامة بالغداف

فقلت صدقت لم أنكرت منى وأنت عفيفة نبت العفاف؟

أَما تصاون الرجل فيظهر من هفتهَ على المرأة، وشوقه إليها لكنه إذا التقاها لم يتخل عن العفاف ولم ينحرف الى الآثام، بتلك النفحات يطالعنا ابن زيدون قائلاً[4]:-

وَرُب ظلام ليل جنّ فوقى فَنُبْتِ عن الصبَّاح إلى الصبَّاح

فهل عَدتَّ العَفَافَ هناكَ نفس فديتُك أو جنحتُ إلى الجناح

أمَّا والدة ابن جهور فقد ظهرت بعفافها وخشيتها من الله وتقواها بعد أن أسدل عليها ستارًا من الصون وارتفع مُظهرًا عطاياها العديدة المتميزة بالصلاح والتقوى[5].

---

(١) الديوان: ص٩٤ – فى البيت اقتباس من أبى العلاء.

(٢) م ن: ص ١٤٥.

(٣) الذخيرة: م١ ق٤ ص٢٥٥.

(٤) الديوان: ص٧٦.

(٥) الديوان: ص ٥٤٤.

حَصَانُ إنْ التّقْوىَ اسْتَبَدَّتْ بسترّها فَمنْ صَالح الأَعمْال يستَوضَحْ الجَهْرُ

بُطَاطَأ سِتْرُ الصَّوْنِ دُونَ حِجَابها فَيْرفَعَ عَنْ مثْنَى نَوَافلها – السّتْرُ

ويبدو أن العفاف طبعٌ لا صنعة. وقد تغنى بعضهم بالعفة وجعلها طبعًا له وادعى أنه لا يستطيع أن يخالف طبعه ويبالغ بعضهم فيجعل تلك العفة تلازمه حتى فى نومه قال ابن حزم[1]:

وَكَمْ لَيْلَةٍ ظافرت فى ظلّها التي وقد طَرَفَتْ من أَعينِ الرّقباء

عَلَى حاجةٍ فى النفس لو شئتُ نلتها ولكن حَمَتْنى عِفّتى وحيائى

لقد بدت الأبيات الشعرية التى وردت فيها قيم العفاف خطوات عميقة راسخة فى الأخلاق والمبادئ ولم تعد خطوات شعرية عابرة فكانت العفة رداء الأندلسى حيث عُرِف به كما عَرَفَ الشجاعة والكرم.

كما بدا الملوك وتمسك الرجال العظام بالعفَة وحث الآخرين مِنْ أجَلْ انتشار الأمانة والشرف بين الناس وهكذا طلت علينا أشعارهم معبرة عن نزعة الطهارة والعفة والصراحة.

---

(١) انظر الذخيرة: م٢ ق٢ ص٦٠٣.

(الإخلاص)

الإخلاصُ لغةً واصطلاحاً:ـ

خلصَ الشئ، بالفتح يَخلُصُ خُلوصاً إذا كان قد نَشِبَ ثم نجا وسَلِم، وأخلَصه وخَلّصه وَأَخلَصَ لله دِينه: أمحَضَه، وأخلَصَ الشئ: اختاره.

والمخُلَص: الذى أخلصَهُ الله جعلهُ مختاراً خالصاً من الدَّنسِ، والخلص: الذى وحد الله تعالى خالصا.

وكلمة الإخلاص كلمة التوحيد، وقوله تعالى "مِنْ عِبَادِنَا الْمُخلَصِين" وقُرئ المُخلِصين، فالمخلَصون المُختارون والمُخلِصون المُوحِدُون[1]. والإخلاص فى الطاعةِ: ترك الرِّياء واستخلص الشئ، كأخلِصه، والخالصةُ الاخلاص وخَلصَ إليه الشئ: وَصَل، وخَلصَ الشئ بالفتح يَخُلُص[2] خلوصاً أى صارَ خالِصاً. وفى حديث الاستسقاء: فَلْيَخْلُصْ هو وولده أى ليتميّزْ من الناس. وخالَصه فى العِشرة أى صافاه وأَخلصَهُ النَّصيحَة والحُب، وهم يَتخالَصُون، يَخلّصُ بعضُهم بعضا.

ولكننا وَجَدْنا شعراء الأندلس لا يكادون يذكرون الإخلاص إلاّ فى رحاب الحبّ بل لا يذكرون الحب إلاّ فى رحاب قيَم الوفاء والإخلاص، وهم بهذا يمنحون غزلهم لونا بهيجاً من الجمال فى الخوض فى غمار القيم والمثل، فهذا يفدى نفسه للحبيب المخلص الذى زاره بعد اهجران والجفاء فنال السعادة بقربه بَعْدَ أن أبدى لَهُ الإخلاص. فى ذلك أنشدنا أبو الحسن عل بن عبد الرحمن البلنوبى[3].

---

(١) انظر: لسان العرب:م١ مادة خلص (٨٧٧).

(٢) م ن: م١ ص٨٧٨.

(٣) الديوان: ص٣١.

أفـدى الـذى زارنـى بعـد هجـرته ورقَّ لى إذ رأى آثـــار جفـــوته

فـنلتُ فـى قـربه الدنـيا بأجمعهـا ومـــرّ أســـعَدُ وقـــتٍ لى بـــرؤيته

أمّا ابن بقى القرطبى فيظهر إخلاصه فى اضطرابه وقلقهِ لخلوّ المنازل وحنينه لها. ويجلى تلك السَّجايا فيقول:-

مَـنازِلُ لَـكَ ياسَـلمى بـذى خـال هـيجنَّ لا عـجَّ أوصـابى وَبلْـيالى[1]

تَعاقـــرتها اللّـــيالى بعـــد قاطـــنها بمـــا حـــيين لهـــا: ســـافٍ وَهَطّـــالِ

وقد ارتبطت صورة الإخلاص مع صورة الحب ترابطاً وشيجاً مصورا تجربته الشخصية قائلاً[2].

وَضَـــممتهُ ضَـــمَّ الكمـــى لِـــسيَفْهِ وَذُوأبـــتاه حمائـــل فـــى عاتقـــى

حتـى إذا أخـذت بـه سـنة الكـرى زحـزحته شـيئاً وكـان معـا تقـى

أبعدتـــه عـــن أضـــلع تـــشتاقه كـيلا يـنام علـى فـراش خافقـى

وربما جَعلَهم الإخلاص بناة فكر وعقيدة على الرغم من البعاد الذى حل بينهم، لكن بعد الدار والمزار لن يؤثر فى إخلاصهم، يقول أبو محمد عبد الحق بن عطية الحجازى (ت ٥٤٢ هـ)[3].

نُـور ألمَّ بـهِ مـن بَعـدكم حُلَـكُ كالـرّاح جَـفّ بهـا مـن دنّهـا القـارُ

لـئن تَمطّـى بِلَـيل حُـور فـرقتنا لقـد أثـارَت بـه للكُـتْب أقمـار

وأن عَـدَانا بعـادُ عـن تَـزاورنا فإنـــنا بِبـــنَات الفِكْـــر زَوّارُ

---

(١) ابن بقى القرطبى: ص١٤١.

(٢) م ن: ص١٢٧.

(٣) بغية الملتمس: ص ٥٠٧ ترجمة ١١٠٦.

وساق ابن حزم الأندلسى أمثالاً كثيرة عن الإخلاص فى طوق الحمامة منها، ماتت ابنة القاضى محمد بن أحمد بن يحيى من كثرة بكائها على زوجها المتوفى[1]، ورفضت الأخرى الغناء والرقص مع سيدها الجديد على الرغم من ضربها بسبب إخلاصها الشديد لصاحبها السَّابق[2].

يقول ابن حزم[3] فى تفرد القلب بالحبيب وإخلاصه له سواء أقرب الدار أم بَعُدْ

فَكَمـا العقـل واحـد لـيس يـدرى ... خالقـاً غـير واحـد تـرجمان

فكـذا القلـبُ واحـد لـيس يهـوى ... غـيرَ فـرد فُـباعد أوْ مُـدان

ووجدنا ليّون بن عبد العزيز (ت ٤٩٠ هـ) متوازناً فى إخلاصه رافضاً الغدر منصفاً لمن يصون وده نافراً لمن لا يخلص له[4]:-

لحـا الله قلبـى كـم يحـنُّ إلـيكُم ... وقـد بعـتمُ حظّـى وضـاع لـديكُم

إذا نحـن أنـصفناكمُ مـن نفوسـنا ... وَلَـمْ تنـصفونا فالـسلامُ عَلـيكُم

وقد اعترف ابو الحزم[5] جهور بإخلاصه فى المودّة ومعاملته لصاحبه بالحسنى حتى إذا زلَّ وأخطأ

وإنـى إمـرؤ محـض المـودّةِ مُخلـصُ ... أصـافى خليلى بالذى هُوَ بى أسلمى

وإن زلَّ يـوما فـى ودادي أقلـته ... وقارضـتهُ فـى ذاكَ بالـصحبةِ الحُسنا

ولمّا كان الإخلاص فى العمل مطلباً قيمياً شمولياً إنسانياً فقد دأبَ على تكامل

---

(١) طوق الحمامة: ص١٣٧. تحق صلاح القاسمى. وانظر التاريخ السياسى والاجتماعى فى أشبيلية فى عهد دول الطوائف: ص١٩٤ د.وليم.

(٢) طوق الحمامة: ص١٣٧.

(٣) طوق الحمامة: ص٢٦٧ تحق حسن الصيرفى.

(٤) الذخيرة: م١ ق٣ ص١٠٥ ـ ١٠٦.

(٥) الحلة السيراء: جـ١ ص٢٤٨ ـ ٢٤٩، وانظر تاريخ الأدب العربى: جـ٤ ص ٤٧٤ ـ ٢٧٥.

إنسانية الإنسان ونقلها عبر الحضارات إلى الواقع المعيشى باقصى المستطاع. وهذا الإخلاص نجده واضحاً بين العاملين مع الوزراء والحجاب يقول الأديب أبو بكر عبد المعطى بن محمد بن المعين[1].

قـل للوزيـرين أنّـى مُخْلِـصٌ لَهُمـا ... فى السِّر والجَهْر فى عُودَيْهما عُودى

وشاهدُ الصدّقِ لى ما فى ضميرهما ... فلـيس يُخلـصُ ودّ غـيرٌ مَـوْدُودِ

وَلَمْ يقتصر على العاملين من الرجال بل تَعداه إلى النساء، فالمهدى يشيد بإخلاص (مريم بنت أبى يعقوب الأنصارى) فى العمل باعثاً إليها بدنانير قائلاً[2]:-

يافـذة الظـرف فـى هـذا الـزّمان ويـا ... وحيدة العـصر فى الإخلاص فى العمل

اشـبهت مـريماً العـذراء فـى وَرَعٍ ... وَفقـت خنـساء فـى الأشـعار والمُـثل

هَذا وَلَمْ يقتصر الإخلاص على الخاصة بل تَعداهُ إلى العامّة رجالاً ونساء. مرتبطاً بالحب ارتباطاً وشيجاً متوازناً بين رفض الغدر وصون الود حتى بعد الفراق والرحيل.

---

(١) مطمح الأنفس: جـ٣ ص٣٨٣.

(٢) النفح: جـ٤ ص٢٩١.

(الوفاء)

التعريف بالوَفاء

دلائل الوفاء.

١ـ برّ الوالدين (الآباء والأمهات)

٢ـ صلة ذوى القربى.

٣ـ الوفاء بالعهد.

٤ ـ الولاء للوطن والوفاء له.

التعريف بالوفاء

الوفاءُ ضد الغدر[1]، وقيل ما الوفاء؟ قال: (قضاء حقٍّ واجب وإيجابُ حقٍّ غير واجب مع رِقّة أُنسيّة، وحفيظة مَرْعيّة)[2].

(والوفاء من شيم النفوس الشريفة والأخلاق الكريمة والخلال الحميدة، يعظم صاحبه فى العيون وَتَصدُقُ به الظنون)[3].

وعد ابن حزم الوفاء نعمة يهبها الله لعباده الأخيار فيقول (وَلاَ أَقُول قولى ممتَدِحًا، ولكن آخذًا بأدب الله عزَّ وجل "وأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فحَدِّث")[4].

دلائل الوفاء:

وكان يقال دلائل الوفاء سبع[5]:-

١- برُّ الوالدين.

٢- صلة ذوى القربى.

٣- النزاع إلى الوطن.

٤- الجزع لفقد السكن.

٥- الحزن لأخلاق الشباب.

٦- واللبس لأخلاق الشباب.

٧- والصّبر على هدم الدّاوِب.

---

(١) انظر د. حسن الباشا: الألقاب الإسلامية فى التأريخ والوثائق: ص ٥٤١ مكتبة النهضة المصرية.

(٢) الامتاع والمؤانسة: جـ ٣ ص ١٣٢ تحقيق أحمد أمين أ أحمد الزين.

(٣) طريق الحمامة: ص ١٣٨-١٣٩.

(٤) م ن: ص ن، أنظر سورة الضحى: آية ١١.

(٥) انظر ابن ظفر المالكى: سلوان المطاع فى عدوان الامتاع: ص ١٧.

١ـ بِرّ الوالدين (الآباء والأمهات):ـ

كتبَ إبنْ عَمار الأندلسى مستعطفًا الرشيد بن المعتمد طالبًا شفاعته لدى أبيه مؤكدا قيمة الوفاء فيه والطاعة لَهُ قائلاً[١]:

فَجـزاكَ الإلـه مـن مَلـكٍ حُـرّ ... ويقـاءَ الـتمكين والتمهـيدِ

مـن مطـيعٍ عهـد الـوفاء مطـاعٌ ... وودود علـى الـنوى مـودود

٢ ـ صلة ذوى القربى:ـ

أمّا الوفاء لصلة الأقارب فجعله أبو الوليد إسماعيل بن محمد الملقب بحبيب (ت ٤٤٠ هـ) فريضة حتمّية تفرض مواصلتها بين الأقارب حين قال[٢]:

إنْ يَعُـدْ فالـوفاءُ حـتمٌ علـيه ... فَرضـه فـى صِـلاته كَـصَلاته

فالوفاء لازم لسعادة المجتمع البشرى وثقة الناس بعضهم ببعض وسير الأعمال بينهم سيرًا حثيثًا، وحصول التعاون بينهم لذا نجد أبا بكر بن القصيرة (ت ٥٠٨ هـ) مبتهلاً إلى الله داعيًا أن لا ينصدع شمل الوفاء إذ يقول سليمان الكلاعى[٣]:

فَأنْـتَ روحُ العـلاء أنـشأه اللـ ... ـه وشمـلُ الـوفاء لا صَـدَعَه

ويعدُ الوصال بين الأخوة نوعًا من الذكرى والوفاء إبى مروان عبد الملك الطبنى (ت ٤٥٧ هـ).

فاذكُـر أخـاكَ بِخَيْـرٍ كُلمَّـا لَعِـبَتْ

بـه اللّـيالى فـإنَّ الدَّهْـرَ دَوارُ

وقد تكلم ابن بسام عن الوفاء للصديق فقال: (الصديقُ الوفىُ الذى بَعُدَتْ

---

(١) انظر الديوان: ص ٣٠٩.

(٢) الذخيرة: م١ ق٢ ص١٣٢. وانظر الدكتور أحمد حاجم الربيعى: أبو الوليد الحميرى الملقب بحبيب حياته وشعره: ص ١٨١، مجلة المورد م١٧ العدد (١) لسنة ١٩٨٨.

(٣) قلائد العقيان: جـ٢ ص ٣٠٩.

أخلاقه عن الغَدْر، والواحد الذى يعدل الوفّا من جلالة القدر، ويزيد على الأنام كما زادت على الليالى ليلة القدر) [1]، فالصديق الوفى لا يعوض وتبقى حصرته فى النفس من هذه القيمة العليا ينطلق الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الله الملقب جماح الدولة الذى بقى على الإمارة حتى سنة (٤٨٥ هـ) [2].

وَاحَسْرتا لِصَديقٍ مَالَه عِوضُ ... إن قُلْتَ من هو لا يلقاكَ معْتَرضُ

ألقاهُ بالنّفسِ لا بالجسمِ من حذرٍ ... لعلّةٍ ما رأيتَ الحرَّ ينقبضُ

وقد خصّ أبو عمر أحمد بن عيسى إلا لبيرى المَوّدةَ للأوفياء مؤكدًا صداقتهم قائلاً [3]:

فارْضَ الوفاءَ بعزّ نَفْسك لا تكُنْ ... تَرْضَ المَذَلّةَ ما وَجَدْتَ سبيلا

وَإخصص بودّكَ مَنْ خَيَرْتَ وفاءُه ... لا تتخذْ إلاّ الوفىَّ خَلِيلا

وقد صان الأعمى التطيلى ودّ الصديق الحافظ للسرّ قائلاً [4]:

حظىّ من الدُّنيا إذا أحْرَزتُهُ ... صونُ الصديق لها ببذْل الدّرهم

يا مُوْسِعى من بِرّة ووفائه ... ما يستَرِقُ تضرّعى وتخذُّمى

وقد طالب ابن الزقاق البلنسى [5] (ت ٥٢٨هـ) الوفاء للأصدقاء حتى بعد الرحيل ومفارقة الحياة.

فمن مرّ بى فليمضِ بى مُترحمًا ... ولا يكَ مَنْسيًا وَفاءُ الأَصادقِ

---

(١) انظر مطمح إلا نفس: ص ٢٦٩.

(٢) الذخيرة: م٢ ق١ ص٥٥٢.

(٣) المغرب فى حلى المغرب: ص ٩٦ ـ ٩٧ ترجمة ٤٠٧.

(٤) الديوان: ص ١٧٠ ـ ١٧١. وانظر نظيره فى طوق الحمامة: ص ٦ (الصيرفى).

(٥) الديوان: ص ٢٠٥ وانظر قول ابن السيد البطليوس: صاحب أبو جناح/ المورد: م٦ ع١/ ١٩٧٧، ص ١١٨.

٣ ـ الوفاء بالعهد:ـ

يدعو الإسلام إلى أداء الأمانة، والوفاء بالعهد وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى ذلك فى كتابه الكريم[١]. وتغنى الشاعر بالوفاء فى عصر وَجَدَ فيهِ الوفاء فأنجزَ وعده.

وفضيلة الوفاء هى الفضيلة التى هيمنت على قلب الشاعر وعلى لسانهِ فوفائه للعهد ووفائه لدينه ولأهلِه ولقومه فوجدناه يرعى العهود ويقدس الوفاء وهو من بين عباد الله فئة قليلة وكان أكبر مفاخرهم الاعتداد بوفاء الذمة ورعاية الأمانة كالذي نجده عند ابن خفاجة (ت ٥٣٣هـ) فى أبى محمد بن عامر[٢]:ـ

بَيْنـــى وَبَيْـــنَكَ ذِمَّـــةٌ مَـــرْعِيَّةٌ فـــإذا تُتوُسِـــيَتِ الأَذِمَّـــةُ فَاذْكُـــرِ

وَإذا غَـشِيتَ دَيـارَ لَيْلـى باللّـوى فاسـأَلْ رِيـاحَ الطَّيبِ عـنها تُخبَـرِ

وربما كان الوفاء بالوعـد من الصدق لأن الصدق يوجد كلما وجد الوفاء بالوعد.

ولـمَّا كان الوفاء قيمة تنبع من نفس الإنسان فقد حرصوا عليه كلُ الحرص ومدحوا بهِ شعراءهم لكونه من الأمور المتعارف عليها لذا وجد بينهم من هو أوفى من (السمؤل) الذى ضُرِبَ بهِ المثل عند العرب يقول الإلبيرى[٣]:

هُـوَ أوفـى مـن الـسمؤل عَهْـدًا وَلَمـــا زالَ مُغْـــرمًا بالـــوفاءِ

٤ ـ الولاء للوطن والوفاء له:ـ

أَعزّ ما خفضت له الجوانح بعد الله الوطن (على أن الوفاء للوطن لا يكفى فيه

---

(١) قال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ المؤمنون: آية ٨.

(٢) الديوان: ص ٤٩. وانظر نظيره فى النفح جـ ٤ ص ٣٠٩، والحلة السيراء: جـ٢ ص ٨٧، ترجمة ١٢٥. وانظر الوفاء بالعهد فى ديوان الحكيم بن أبى الصلت: ص ١٣٧ والإلبيرى: ص ١٢ تحقيق الداية وديوان المعتمد بن عباد: ص ١٠٢ وديوان ابن عمار: ص ١١٨.

(٣) الديوان: ص ٨٨ تحقيق محمد رضوان الداية. وانظر ديوان ابن عمار ص ٢٠٦ ـ ٢٠٨.

التغنى بجماله، والزهو بمجده التليد ومرابعه الساحرة، قد يكونان مدعاة أسىً ومرارة إذا افتقر الوطن فى حاضره إلى ما كان يتمتع به فى ماضيه من حرية واستقلال[1].

قال ابن حمد يس الصقلى[2]:

ولله أرضٌ إنّ عدمتمّ هواءَها ... فأهواؤكم فى الأرضِ منثورةٌ النّظمِ

وعَزكُم يُفْضى إلى الذّلِ والنَوىَ ... من البين تَرمْى الشملَ منكم بما ترمى

أخِلّى الذى وَدّى بوَدٍ وَصَلْتَهُ ... لدىً كما نِيطَ الولىّ إلى الوسمى

تقّيدْ من القَطرْ العزيز بموطنٍ ... وَمُتْ عدد رَبْع من ربوعكَ أو رَسْمِ

وإيّاكَ يومًا أن تُجرّبَ غُرْبَةً ... فلن يستجيزَ العقلُ تجربةَ السَّمِ

وقد أحبّ ابن الحداد[3] مدينة المَرية ولزمها، وآثرها على بغداد ومصر، وأظهر وفاءه لها مفضلاً إياها رافضًا أى بديل عنها قائلا:ـ

وَلَمْ أرضَ أرضًا غير مبدأ نشأتى ... ولَو لحتْ شمسًا فى سماءُ ولاتها

وكَمْ خَطَبتنى مِصْرَ فَىْ نَيلِ نِيلِهَا ... وراحَتْ بنا بغدادُ وِرْدَ فراتها

وقد طارَ قلب أبى[4] الحسن بن نزار فى طليطلة حبًا ووفاء لها وحنينًا لأرضها وهوائها فقال:ـ

وادي الأثافِ يهيجُ وَجْدى كُلّمَا ... أذكرت ما أَفضَتْ بك النعماءُ

لله ظلكَ وَالهجيرُ مسلّط ... قد تَرَّدت لَفحاتِهِ الأنداءُ

---

(١) انظر الوفاء مختار من شعر بولس غانم: ص ٢٩.

(٢) انظر الديوان: ص ٤١٧. وانظر ملامح الشعر الأندلسى. ص ٨٢ ـ ١٨٣.

(٣) انظر شعر ابن الحداد: ص ١٤. وانظر أبا العرب الصقلى الحماسة المغربية: جـ ١ ص ٧٧٦.

(٤) الحلل السندسية فى الأخبار والآثار المراكشية: جـ ١ ص ١٨٩ ط ١٩٣٦.

وَقَدْ أظهرابن جاخ البطليوسى الجزَع وفاء لفقد الوطن كاتمًا أشواقه لكن الدمع يَفْضَحهُ حِينَ يسيل على خَدَيْهِ، فيقولُ[1]:ـ

يا ناقُ عُوجى على الأَطلالِ عَلَّ بِها ... منهم غريبٌ يَرانى كيف أبكِيهَا

أو كيفَ أرفض طيبَ العيش بعدهُم ... أو كيف أُسْبلِ دمْعى فى مَغانِيها

إنّى لاكتم أشواقى وأسترها ... جَهدى ولكنَّ دَمع العين يُبْدِيها

(١) جذوة المقتبس: ص ٦٤١ ترجمة (٩٦٤) وانظر نظيره فى الحلة السيراء: جـ١ ص ٣٦.

(إنجَاز الوَعْد)

٤ ـ الولاء للوطن والوفاء له:ـ

أَنْجَز الوعد: وفى به (حَقَّقه) [١] قال تعالى ﴿ وَأَوْفُوا بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾[٢] والوفاء بالوعد خلق كريم و(حسن العهد بِما لم يُؤتهِ غيره من فضائِلِهِ)[٣].

فَصدِق الوعد وحفظ العهد كرهن مطلوب يقول ابن[٤] وهبون المرسى:

من آلِ مَدُحِجَ لى شخصٌ كَلِفتُ به ... لَـمْ يَنْقض العَهْدَ من وَدّىْ ولا نكث

وَقَدْ يَكون العلماء أشد حفظًا للعهد وأكثر إنجازًا للوعد يقول ابن زيدون[٥]:

وَناصِـــرُ الْعِلـــم الـــذى ... نَفَقَّـــــهُ لَـمَّـــــا كَـــــسَدْ

مَـــنْ لَـــمْ يَعِـــدْ إلاّ وَفَـــى ... وَلاَ وَفـــــى إلاّ وَعَـــــدْ

وفى حفظ العهد وإنجاز الوعد يقول أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبى الصلت (ت ٥٢٩هـ) يمدح أبا الطاهر يحيى بن تميم بن المعز بن باديس[٦].

لأنـكَ إنْ أوعَدْتَـهُ، أَوْ وَعدْتَـهُ ... وَفِيْتَ وَلَـمْ تَـخْلِفْ وعيدًا وَلاَ وَعَدَا

أَجل؟ وإذا ما شئت جردت نحوه ... جحاجحـه صِـيْدًا وَصِـبيانه مَـرْدَا

---

(١) انظر ابن عربى: فصوص الحكم: جـ١ ص ٩٤، وانظر معجم مقاييس اللغة: جـ٥ ص ٣٩٣.

(٢) الإسراء: آية (٣٤).

(٣) المستطرف: جـ١ ص ١١٤ ـ ١١٥.

(٤) سمر صبحى أحمد: ابن وهبون المرسى: ص ١٢٤.

(٥) الديوان: ص ٦٠١. نفقه: روجه. كَسَدَ: بار ومنه كسدت البضاعة إذا لم يقبل عليها ثان.

(٦) الديوان: ص ٨١، فى عيون الأخبار: ص ٥٠٥ جحاجحة شيبًا.

وذو العهد مسؤول عن الوفاء بعهده[1]. قال ابن زيدون[2]:ـ

وَحَاشَايَ مِنْ أَنْ أَضِلَّ الصِّراطَ ... فَيَعْدُونى الكفرُ عمَّا بَدَا

وَأَخْلِفَ مَوْعِدَ مَنْ لاْ أَرَى ... لِدَ هرِيَ الاّ بهِ مَوعِدا

وفى انتظار الوعد الصادق من المحب أَنّ يزور محبوبةِ يقول ابن[3] بقى القرطبى:ـ

بِأبى غَزال غَازلته مقلتى ... بين العُذيب وبين شطى بارق

وسألتُ منه زيارة تشفى الجوى ... فأجابنى منها بوعد صادق

ومنهم من تواعد على خوض الحروب وسفك الدماء لطبيعة الظرف الذى ألم به فقال[4]:

وكانَ موعدهم والحين أنجَزه ... لكى تراق دماء ما لها قود

وخلف الوعد ضرب من اللاّخلقِ (فهو على وجلٍ وخوف من أن ينطق به)[5]. وقد يجّر التعاطل بالوعد إستهجانا لدى السامع يقول: إبراهيم بن عبد الصمد البلنسى[6].

إذْاْ غَضبَوا كانَ الوعِيد انتقامَهم ... وإن وَعَدوا لم يَأتو مِنهُم سِوَى لوْعدِ

غِناءُ الغَوانى فى الحُروب غناؤهم ... وإن عَهدوا كانوا كذلك فى العَهْدِ

---

(١) انظر أبا البقاء العكبرى: إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات فى جمع القرآن: ص ٩١.

(٢) الديوان: ص ٢١٦، وانظر م ص ١٥٢، ١٩٢، ١٦٥، ١٦٦، ١٨٣.

(٣) انظر شعر ابن بقى القرطبى: ص ١٣٨.

(٤) ابن بقى القرطبى: المورد عدد ١/ ٧٨.

(٥) انظر أبا القاسم الأشبيلى: أحكام صنعه الكلام: ص ١٥٥.

(٦) جذوة المقتبس: جـ١ ص ٢٤٢ ترجمة (٢٨٥).

وَرُبما عُوقِبَ الشخص غير المنجز لوعده قال الإلبيرى[1]:ـ

وَعَدتنـــى بـــتَوْبٍ وكَـــمَ ... وَمَـا أنْجـزَتْ وَعْـدَها فـىْ ٱلْمـتابِ

وَقَدْ سَرى طَيف الحبيب فى الوعد وظلَّ متأملا إنجازه طالبًا التمسك بميثاق الوداد قال البلنوبى الصقلى[2]:ـ

بحـــق المحـــبةِ لاَ تَجْفِنـــى ... فَأنـــى إلـــيكَ مـــشوقٌ مـــشوقْ

ولا تـنس حـقَ الـوداد القـديم ... فـــذلك عهـــد وثـــيقٌ وثـــيقْ

ومن لذيذ معانى الوصل المواعيد، وقد تترك مكانًا لطيفًا من شغاف القلب، بزيارة المحب لمحبوبه يقول ابن حزم فيه[3]:ـ

أسـامر البدرَ لَـمَّا أبطأت، وأروى ... فـى نُـوره مـن سـناء إشـراقها عَرَضـا

فـبت مـشترطًا، والـوُدّ مختـلطًا ... والوَصـل مُنبـسطًا، والهجُـر مُنقبـضا

أما عهد الحب وميثاقه فَقَدْ بقى عالقًا فى وجدان على بن أبى الحسين (ت ٤٣٠ هـ) حين قال[4]:

يُذكّرنـى حفـظ العهـود وكفُّـهُ ... وسادى وقد أبدى من الوجدِ ما أبدى

وكثيرًا ما استَحّث الشعراء من واعدوهم على إنجاز وعودهم وقد صوّر أبو زكريا يحيى[5] بن الزيتونى ذلك بإسلوب بليغ رائع حين قال فى المعتضد يستنجزه وعدًا:

---

(١) الديوان: ص ٦٤، تحقيق الداية.

(٢) الديوان: ص ٣.

(٣) طوق الحمامة: ص ١١٠. تحقيق صلاح القاسمى وانظر نظيره فى ديوان ابن الزقاق: ص ١٣٧.

(٤) التشبيهات: ص ١٠٠.

(٥) انظر الذخيرة: م١ ق٤ ص ٣٧٥.

سـفينةُ الـوعدِ فـى بحـرِ الـوَفا وَقَفَـتْ

فامـنن بـريحِ مـن الإنجـازِ تجـريها

وما يُعده شهر رمضان المبارك فى الثواب ينجزه شوال تمسكا بالفرائض والدعاء، وفى ذلك يقول ابن[1] بقى القرطبى (٥٤٠هـ)[2]:ـ

وإن لـوى رمـضان مـن سـروركم وَعْـدًا فمنجـزه إقـبال شـوال

وَلـمّا كانَ إنجاز الوعد خلقًا كريمًا وضربًا من الصدق فإن إنجازه يوجد كلما وجد الصدق من حيث يدرى ولا يدرى، فلا يحلّ للمسلم أن يخلف وعده، فإنجاز الوعد لازم لسعادة المجتمع البشرى وثقة الناس بعضهم ببعض وسير الأعمال فيما بينهم وحصول التعاون، وعلى العكس لقد ذمَّ الله تبارك وتعالى المخلفين وعدهم.

هذا وقد صاحبت النهضة الأدبية فى الأندلس نهضة للقيم والمثل الخُلقيّة، ولا جِدَال فى أنّ دولة المرابطين اعتمدت الدين فى كثير من أمورها متمثلة فيها قيم الإسلام المنبعث من رسالات السماء.

---

(١) ابن بقى حياته وشعره: ص ١٤٤.

(٢) انظر على سبيل المثال د. خليل إبراهيم السامرائى: علاقات المرابطين بالممالك الإسبانية فى الأندلس: ص ٣٥٩ وانظر الطاهر أحمد مكى: المغرب عبر التاريخ: ص ٣٩٤. ودراسات عن ابن حزم وكتاب طوق الحمامة: ص ٤٨ وما بعدها.

(عِزَّةُ النَّفسْ)

عزة النفس(*):ـ

وَعِزَّة النفس من القيم الإسلامية شأنها شأن سائر القيم لها معان تحظى بالترجيح على سواها التى تمتع بها العلماء والفضلاء والعظماء لأنهم قدوة الدنيا وأئمة الهدى، وقد امتدح ابن عبدون بنى عبد العزيز بالعزة والجلالة قائلاً(١):

بحـــورُ بَلاغـــةٍ ونجـــوم عـــزٍّ وأطـــوادٌ رواسٍ مـــن جـــلال

وعبّر كل شاعر بطريقتِهِ الخاصة عن عزّة نفسه فبدت فى جميع الأمور نورًا يضىء جوانب القيم الخلقّية ومنبعًا للسعادة الدنيّوية، حين امتدح ابن زيدون أبا الحزم جهور لتجنبه الحروب متمسكا بعزة نفسِهِ، مع أنّه أبىّ النفس عزيز العشير، فقال(٢):

مُذَلَّلُ للمَساعى، حُكْمَها شَطَطُ عَلَـيْهِ، وهـو العَزيـزِ الـنَّفْسِ والنَّفَـرِ
وَزِيـرُ سِـلْمٍ كَفـاهُ يُـمْنُ طائِـرِهِ شُـؤْمَ الحُـروبِ وَرأْىُ مُحْـصَدُ المِـرَرِ

وعبّر ابن وهبون المرسى عن قوة النفس وعظمتها فى أباء وأنفه حين قال(٣):ـ

تَـزاحَمت الهُمُوم خلال صَدْرِى فَمـــا تَـــركتْ لأنفاســـى مَجَـــالا

(*) معناها القوة والشدة والغلبة والرفعة والامتناع. انظر لسان العرب: مادة (عز) م٢ ص ٧٦٤ ـ ٧٦٥.

(١) الذخيرة: م٢ ق١ ص ٨١٦، وانظر النفح: جـ ٤ ص ٦٥.

(٢) ديوان ابن زيدون: ص ٢٥٦. وانظر ديوان ابن الزقاق البلنسى عن عزة النفس: ص ١٨١، وابن بقى القرطبى: ص ١٢٦ عدد ١، ١٩٧٨م.

(٣) انظر ابن وهبون المرسى: ص ٥٥٣ ع١٢ لسنة ١٩٦٩/ ط بغداد.

وَكَـيْفَ يَـصِحُّ ذو قلْـبٍ أَبـى أرِدّ بـــهِ إلى كَـــبدي نِكـــا لا
مَـضَى مـاء الـشبيبة فـى الأمانـى ومـــن ولىّ فمـــا يـــرجو إقتـــبالا

وقد تتطلّب عزّة النفس يقظة دائمة ليصل صاحبها إلى مكانة أنبل وأسمى، كما تتطلب حساسيّه مرهفة وروحا عالية وراء تلك الأمثلة فى الإباء وعدم الاستكانة والسمو حين تبلغ ذروة الطموح واسترجاع المجد الآفل، وإلاّ فالموت مقبل حيث لا خلود فى الحياة ولا حياة بدون عِزّ، معبرا عن ذلك محمد بن الصباغ الصقلى[1]:

مكَـرّ الخـيل دامـية الـنحور وقـرع الهـام بالقـضب الذكـور
فَأمّـا الملـكُ فـى شـرفٍ وعـزٍّ عَلـىّ الـتاج فـى أعلـى الـسرير
وأمـا المـوت بـين ضـيا العـوالى فلـست بخالـدٍ أبـدَ الدهـور

ووجد عبد الرحمن بن أحمد بن مثنى (أبو المُطرّف) الموت خيرًا من حياة الذّل والهوان التى إنْ سكت فيها تألم، وإن نَطقَ عابُوا كلامه يقول[2]:ـ

المـوتُ خـيرٌ مـن حَـياةٍ يُـرى لهـا علـى المـرءِ ذي العَلـياءِ مـسٌّ هـوان
متـى يـتكلم يُلـغَ حـسْنُ كلامـه وإن لم يقُـل قالـوا عـديمُ بـيَانِ

وعزّة النفس مسؤوليّة دينيّة وخلقيّة لبناء شخصيّة متوازنة تأخذ دورها فى الحياة لتطهير النفس من كلِّ ضَلالة[3].

لَـيْسَ ألفتى المُضطرُ يَمْلِكُ عِزّةً قطـع الـشقاء تَعَـزُزَ الفُقَـراءِ
نَـزَعات شـعرك مـن محـال كلـها وكـذا المحـال خلائـق الـسفهاء

وتميّزت عزة النفس عندهم يعلو الهمم وشموخ الأنوف وقلّة الإحتمال لثقل

(١) المسلمون فى جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا: ١٨٥.
(٢) ابن الأبار: اعتاب الكتاب: ص ٢١٧ تحقيق د. صالح الاشتر.
(٣) ديوان السرقسطى: (روضة المحاسن وعمدة المحاسن): ص ١٤٩.

الطاعة إذ كان بينهم الأشراف الذين يأنفون الخضوع والإذعان، لذا أبت نفس أحمد ابن تليد الكاتب أن يكون ثقيلا على الآخرين لشمعه وأنفته واحترام ذاته الإنسانية، يقول[1]:ـ

لَمْ أَرض بالذلِّ وإن قَلاَّ ... والحُرُّ لا يحتملُ الذلاَّ

حَرَّمتُ إلمامي على بابه ... وَوَصلَه لم أره هِلاَّ

تأبى عليَّ النفس من أن أرى ... يومًا على مستثقلٍ كَلاَّ

أمّا الأعمى التطليلى، فقد وجد عزّة النفس ينبوعًا ثرًّا لخلق قيم حضارية، وهى صراع بين قيم السادة وقيم العبيد فى الأخلاق النفسية المحضّة[2].

أبيّ إذا كان الإباءُ سَجِيّةً

مِنَ التَّرك للنقصان والأَخذِ بالفَضْلِ

وَفيٌّ وقد ضاعَ الوفاءُ وأهْلُهُ

مُصانَعَةٌ بين الغَوايةِ والجَهْلِ

لقد بات السميسر الإلبيرى موزع القلب والعقل بين ما يؤمن به وما يرى تحت بصره، ولأَنَفَتِهِ وَعِزّةِ نَفْسِه، فهو يتحمل على مضض ما يتحمله كلّ محبٍّ لبلدهِ ومكان نشأته ومرابع طفولته منشدًا أبياته[3]:ـ

قَالوا: أَتُسكُنُ بلدةً ... نفُس العزيز بها تهونُ؟

فَأجَبْتهُم بتأوُّهٍ ... كيف الخلاصُ بما يكونُ؟

غرناطةٌ مثوى الجنيـ ... ـنِ يلذُّ ظلمته الجنين

---

(١) انظر بغية الملتمس: جـ١ ص ٢١٨ ترجمه (٣٩٠).

(٢) الديوان: ص ١٤٥.

(٣) الذخيرة: ق١ م٢ ص ٨٨٧، وانظر محمد شهاب: ص ٣٠٠، آداب مستنصرية: ع ٢٦/ ١٩٩٥.

وعزة النفس قد تنبع من الضمير الدينى الرادع لها والوازع الخلقى والروح الشفافة فتعطى المرء بعدًا إنسانيًا مشخصًا تشخيصًا واعيًا لكون الإيمان بالله يذلل الصعوبات والشدائد، يقول ابن حصن الإشبيلى[1]:

تلينُ له الأيامُ وهى شَدائِد ... وتَحنو وجوهُ الحادثاتِ وتذْعِنُ

نَمياهُ إلى العلياء آباء عِزَّةٍ ... رأى حُسْنَ مسعاهم فمازال يحسن

ميامين أمجاد مآمين لم تكن ... وقائعهم فى كل هيجاء تؤمن

كفاهم بإسماعيل مجدًا مؤثلاً ... وعزًّا مكينا لا ينى يتمكن

وقد يؤثرون الفقر مع عزة النفس على الغنى مشربا بالذل. مؤكدين أن الأشياء التى ترتبط بهذه العواطف تشارك المكانة نفسها وتحتل مركزًا يسمو على سائر الأمور من غنى النفس الذى يتمتع به الفقير المعدم لما فى عزة نفسه من قوة وسلطان خاصين.. يقول أبو بكر ابن اللبانة الداغى[2]:ـ

غُنُى النفس أنتَ وإن ألحَّتْ ... على كفيكَ حالات الفقير

تصرِّف فى الندى حِيلَ المعالى ... فتُسمحُ من قليلٍ بالكَثيرِ

وقد تخلق عزة النفس مواطنا صالحا بعيدا عن الخضوع والمذلة وأحسن ما يكون وألذ ما فيها الاستقرار فى الوطن. قال موسى بن سعيد عند فراق الأندلس:ـ

وَالعِزِّ محمودٌ وَمُلْتَمَسٌ ... وألذهُ ما نيل فى الوطن[3]

وهكذا كانت عزة النفس ملازمة لخلق كل حرّ أبى من الرجال. عبّر عنها الشعراء أصدق تعبير.

---

(١) الذخيرة: م١ ق٢ ص ١٨٣ ـ ١٨٤.

(٢) انظر شعر ابن اللبانة: ص ٥٢.

(٣) النفح: جـ ١ ص ١٨٢.

قيَمٌ أُخر

وثمة قيم أُخر وردت فى أشعار الأندلسيين، أكدت فضائلهم، منها أصالة الرأى:ـ الذى هو رمزُ للاِتزان والدراية والمعرفة لكونه يهدى إلى الحق والصلاح ويعمل على تنقية النفس الإنسانية. فقد قيل (ومن أولى التقوى والحنكة، الرأى والتشاور)[١]. والمشورة مادة الرأى والعاقل من يرى بأول رأيه أخر الأمر[٢]، فإذا كان ذا رأى وتدبير وتجربة وإصابة فهو داهية[٣]. وأشاد السلف بهذه السجية الحسنة. وكثر بين الأندلسيين أصحاب الرأى والفتوى[٤].

وبيّن الشعراء أن من أصالة الرأى وصحته (حسن الصلاح والاستقرار)[٥]. هذا ما أكده ابن حمد يس الصقلى واثقًا من بعض آرائهم التى هى شفاء للسقم وبرُّ من الجرب قائلاً[٦]:

لا تسألَن عَمّا يصيبُ برأيهِ ... وطعانِه بمقوَّم مَيّادِ

يضُع الهناءَ مواضعَ النَّقبِ الذى ... يضُع السِّنانَ مواضعَ الأحقادِ

وكان لبعضهم آراء ثاقبة، تحلّ العُقد وتسهلُ صعاب الأُمور. يقول ابن عمار[٧]:

---

(١) انظر أخلاق الوزيرين: ص ١٧ ـ ١٨.

(٢) التمثيل والمحاضرة: ص ٤٢٦.

(٣) لباب الألباب: جـ٧ ص ٥٣ تحقيق قحطان السيد صالح.

(٤) انظر ابن قيم الجوزية: أعلام الموقعين عن رب العالمين: جـ١ ص ٦٧. وانظر ابن حزم: رسالة الإسلام: ص ٢٢ ـ ٢٦.

(٥) يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين ص ٢٤٥ ترجمة محمد عبد الله عنان.

(٦) الديوان: ص ١٤٧. الهناء: القطران بفتح القاف وسكونها قطع متفرقة من الجرب.

(٧) الديوان: ص ١٣١. وانظر نظيره ص ١٦٥ ـ ١٧٠، وسلوان المطاع فى عدوان الامتاع: ص ٣٩ ـ ٤٠.

وَتَطْلُبنى إنْ غَابَ للرأى حاضر وقد غاب منى للخواطر باعث

أعودُ بعهدٍ فطنته بِكَ أنْ ترى تحل عراء العاقدات النوافثُ

وخصّ المعتضد[1] بن عباد وقت السحر لتسديد الآراء واتخاذ القرارات معتقدًا أن ذلك هو الوقت المناسب.

قسمتُ زمانى بين كدٍّ وراحةٍ فللرأى أسحار، وللطيب آصالُ

وقد تُردّ الخطوب بأصالة الرأى وصلابته يقول الأعمى التطيلى[2].

إلى من تُسندُون بكلِّ خَطْبٍ يكون جلاؤُهُ الرأىَ الصَّقيلا

نصرة الجار:ـ

لقد حاولَ الأندلسى أنّ يفلسف حياته اليومية الاجتماعية فارتقى إلى تصوير مراعاة الجار وحمايته والحث على إكرامه متمسكًا بوصية الله ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم "مَنْ يُؤمِنْ بالله واليوم الآخر فليكرم جاره"[3].

وقد احترم العرب والمسلمون الجار[4]، لما له من صلة وثيقة بحياتهم الاجتماعية. ومراعاة الجار جسدت قيمًا شتى كالحفاظ على العهد والوفاء والكرم والأمانة وعفة النظر.

وبرّز ابن زيدون صورة وصّية الله بالجار وحفظ الجوار[5] فى رده على أبى عامر ابن مسلمة عندما كتب إليه معاتبًا:ـ

---

(١) ديوان المعتضد: ص ١٠٧، وانظر صلابة الرأى ورجاحته فى الحلة السيراء ص ١٣٠، ص ١٤٠ ترجمة ١٣٣ ومن ١٥٣ ترجمة ١٣٣، وبغية الملتمس: جـ٢ ص ٧١٧ ترجمة ١٥٦٦.

(٢) الديوان: ص ٩٩. وانظر أخبار مجموعة ص ١٤٢، تحقيق إبراهيم الأبيارى والحلة السيراء جـ٢ ص ٧٥ ترجمة: ١٢٢.

(٣) إرشاد السارى لشرح صحيح البخارى: جـ١ ص ٤٤١ فى رواية أخرى (فلا يؤذى جاره).

(٤) انظر: بشرى الخطيب: القيم الخلقية فى الشعر الجاهلى من خلال فنى الهجاء والمديح: ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦.

(٥) الديوان: ص ٢٠٥، وانظر ديوان ابن زيدون: ص ٣٢٦ ـ ٣٢٧ و ٤٣١ والنفح: جـ١ ص ٥٤٤ ـ ٥٤٥.

فَـراع مِوَدّتـى واحفـظ جَـوارى فَـــإنَّ اللهَ أَوْصَـــى بالجِـــوَارِ

فأجابه ابن زيدون[1]:ـ

هَـوَايَ ـ وإنْ تَـنَاءَتْ عـنك دارى كَمِـثْلِ هَـوَايِ فـى حَـالِ الجِـوَارِ

مُقِـــيمٌ لا تُغَيِّـــرُهُ عَـــوَادٍ تُـــباعِدُ بَـــيْنَ أحـــيانِ المَـــزارِ

كتمان السرّ:ـ

السرُّ، ما كُتِمَ، والجمع أسرار وقد سارَرْته سِرارًا ومسارَةً[2]. وهو خلق مركب من الوقار والأمانة، فإن إخراج السرّ من فضول الكلام وليس يوقر من تكلم الفضول.

وكتمان السرّ محمود من جميع الناس[3]. وخاصة لمن يصحب السلطان فإن إخراجه أسراره مع أنه قبيح فى نفسه يؤول إلى ضرر عظيم. وحفظ الأسرار والحرص على كتمانها وعدم تسربها إلى أكثر من القلبين المشتركين فى ذلك السرّ من حُسن الخلق، وقد قيل (قلوب الأحرار قبور الأسرار)[4]، يقول ابن عمار[5]:

مزحت فإنى يا ابنة القيل لم أكن لا فـــشى سِـــرًّا ضـــمنته قلـــوب

وكتمان السرّ دلالة على جوهر الرجال فى ضبط النفس والصبر والحياء والعفاف، فقد قيل: (أصبر الناس من صبر على كتمان سرّه)[6] قال ابن حزم[7]:

---

(١) الديوان: ص ٢٠٥.

(٢) المخصص: م١ السفر الثالث، ص ٢٠.

(٣) يحيى بن عديِ: تهذيب الأخلاق: ص ٢٧ ـ ٢٨.

(٤) المستظرف: جـ ١ ص ٢٠٧.

(٥) الديوان: ص ٢٠٥. وانظر نظيره فى ديوان المعتمد: ص ١٣١.

(٦) الكامل: جـ٢ ص ١٨.

(٧) طوق الحمامة: ص ٧٥ ط تونس/ تحقيق صلاح الدين القاسمى.

للسرِّ عندى مكانٌ لم يَحلّ بهِ حىٌّ إذا ما اهتدى ريبُ المنونِ له
أُميتُه وَحَياة السرِّ ميتتَهَ كما سُرور المُعنَّى فى الهوى الوَله

والصدر أفضل مكان لحفظ الأسرار، وأصونها صدر صاحبها[1] ولكن كتمانها يتوقف على الطبع، فطبعٌ يكتمُ السِرَّ وآخر يبوح به، وقَد أشار عبد الرحمن البلنوبى[2] إلى ذلك:ـ

لائمى أقْصِرَ فإنى كُلمَّا زدَت لومًا زاد سمعى صمما
بوشاحٍ ناقض الحجل فذا باحُ بالسِّر وهذا كتما

هذا وقد وردت صور فى كتمان أسرار الحب والحبيب منها على سبيل المثال قول أبى القاسم بن العطار[3].

ألا يا نسَيم الرِّيح بَلّغ تَحيَّتى فَمْا لِى إلىَ إلفى سِواكَ رَسُولُ
أَيُنْشَر ما بينى وبَينك فى الهوى وَسِرّكَ فى طىِّ الضّلوعِ قَتِيلُ

وقال ابن جاخ البطليوسى لمحمد بن عباد[4]:

إنى لاكتم أشواقى وأستُرها جَهدىِ ولكن دمع العين يُبديها

وهكذا أمكننا استخلاص القيم من صفوة الشعر، التى مثلت أخلاقهم وترجمت نفسيتهم التى عرفت بالأصالة، بعضها كان أمهات أخلاق الكرام[5].

---

(١) انظر الشريف الإدريسى: جزيرة العرب فى نزهة المشتاق: ص ٤.
(٢) الديوان: ص ٦٩ ـ ٧٠.
(٣) بغية الملتمس: جـ٢ ص ٧١٤ ترجمة ١٥٦٢.
(٤) م ن: جـ٢ ص ٧١٨ ـ ٧١٩ ترجمة ١٥٦٩.
(٥) انظر رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا: جـ١ ص ٢٦٠ عنى بتصحيحه خير الدين الزركلى: ط، مصر، انظر إلى مكارم الأخلاق وهى سبعة العفو، الكرم، الإحسان، النصيحة، الاستغفار الحلم، الصلة لمن قطع.

فأعطينا صورة واضحة المعالم عن فضائلهم السائدة فى تلك الفترة. ومن الغريب أننا لم نعثر على صور للاعتناء بالأسرى وحقوقهم على الرغم من التطاحن السياسى والعسكرى والذى لمسناه لا يشكل قيما تنسب لهم.

أما القيم النسبية كالقناعة مثلا فلم نعثر على سياقات شعرية تبرر لنا ذكرها ضمن القيم السائدة لذا ارتأينا استبعادها من البحث.